بسم الله الرحمن الرحيم

"ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بكل شيء عليم" البقرة

مشاريع الموت

بقلم إدريس أحمد

نبذه عن الكاتب



الصورة التقطت في أوسلو، النرويج عام ألفين وعشرة وفي نهاية الكتاب تجدون صورة لي في صنعاء عام عشرين ستة وعشرين، الرجل في الصورتين هو أنا، وبين الصورتين ستة عشر عاماً هي فصول هذا الكتاب.

يكتب هذا الكتاب إدريس أحمد صالح إدريس مواليد الصومال عام **1988**، حافظ للقرآن منذ عام **2009** حيث شاركت في دورة صيفية لحفظ القرآن في السويد مدينة جوتنبيرج وأتممت حفظه في **23** يوما بفضل الله عزوجل، ثقافتي الدينية عميقة ومستمدة من تجارب ولم أنقطع للتعلم الديني على يد المؤسسات الدينية بشكل منتظم، عضو مؤسس في حركة أنصار المهدي منذ عام **2011** مع بدء أحداث الربيع العربي في اليمن تحديدا صنعاء. انطلقت مع الشيخ محمد عبده والذي عرف لاحقا باسم السيد حسن التهامي في تأسيس أساس دعوي ومنهجي قوي للحركة وسجنت بعد حوالي سنة ونصف معه بتوصية من مخابرات إحدى الدول العربية آنذاك، مع سجني فر السيد حسن التهامي وتم تصفية صديقنا الثالث/ ناصر يحي جريبان الأهدل بعد تناوله لقات مسموم تم تسليمه له من جهات مشبوهة. جئت إلى صنعاء من النرويج حيث يسكن أهلي هناك وجئت طلبا للدين ولإشباع الجوع الروحي الذي كنت أعيشه في النرويج وكنت مستعدا للعمل مع أي جماعة تنصر الدين بأي شكل عسكريا، سياسيا، دعويا أو بأي شكل آخر. كانت ميولي نحو تنظيمات جهادية وأثناء بحثي عن الالتحاق بهم تعرفت على الشيخ محمد عبده في ساحة التغيير وبمجرد أن عرض علي أن هناك مشروع مهدوي في بلاد الحرمين لنصرة الدين استجبت وشققت معه طريقا امتد حتى شهر مايو **2026** وأنا أكتب هذه الورقات حيث قررت بشكل واع أن أتكلم عن تجربتي الطويلة العميقة سلبا وإيجابا! وأنا إذ أكتب هذه الورقات لست خصما يصفي حساباته فطالما صبرنا على ما لا يصبر عليه في سبيل الدين وما خرجنا حين خرجنا إلا بحجة دين واضحة كالشمس، وكما أؤكد حين أكتب أني لست مدفوعا من أي جهة وأن هذا قرار واع مسؤول عنه شخصيا. وأنا أعي حين أكتب أني أُعَرِّض علاقات شخصية قديمة وعميقة للخطر وكذلك قد يحدث الكتاب ضجة لها ما بعدها ولكني آثرت أن أهدي هذه الأفكار لكل شاب يحب الدين ويريد أن ينصره بأي شكل أو أي شاب له ميول دينية لعله يفهم طبيعة هذه

الحركات الإسلامية بشكل عميق، وتركيزي على حركة أنصار المهدي له عدة أسباب حيث وأني قديم فيها فاهم لشواردها، وكذلك كون الحركة خليط من جماعات كالقاعدة والتبليغ والإصلاح والشيعة الإثني عشرية وشذر مدر من أفراد ينتمون لجماعات أخرى قوية ولها وزنها في الساحة ولا عجب فالمهدي هو للأمة الإسلامية كلها وكل يريد حظه منه سواء كان حظ دنيا أو حظ آخرة.

ماذا حدث ولماذا أكتب الآن؟

دخلت في حركة المهدي كما أسلفت بحثا عن الدين ولأكون جزءا من الخطة الإلهية لإخراج الأمة من الظلمات إلى النور ورفع الظلم عن أمة الإسلام حيث ودورنا المتأخر عن ركب العالم واضح وتأخرنا وتشرذمنا واختلافنا رغم أننا أصحاب الرسالة السماوية الأخيرة لا يخفى على العميان والمبصرين وحتى الصم والبكم!

بعد غياب الشيخ حسن وحصول الخلاف الشديد بيني وبين مشايخ الفصل سلكت الحركة مسلكا معاديا لأنصار الله الحوثيين وهو ما كان يخالفه السيد حسن بكل وضوح ولكن المتصدرين للمشهد بعده بسبب خلفيتهم الجهادية متمثلين بـ أبي أمين – أمين الصندوق سابقا و أبي داوود – مفتي الحركة – وبسبب بعدهم الفكري والعقدي عن أنصار الله و اختلاف أدبياتهم ومشاربهم أدى إلى تجنيد الحركة كبيدق لمواجهة أنصار الله وخسرت هدفها ووجهتها العالمية التي أسست من أجلها! ولم يزالوا في ذلك الطريق حتى تعرضوا للسجون ودخلوا في الكذب الصراخ ووقفوا أمام أنصار الله حتى في عز حرب طوفان الأقصى ولا زالوا إلى الان لم يصلوا إلى طريق واضح بل لا زالوا يعمهون ويتخبطون فلا هم قدروا على إزالة الحوثي ولا هم بايعوا المهدي!

تفرقت الحركة فمنهم جماعة الشورى ومنهم مشايخ الفصل ومؤخرا سمعنا أن عبد الله ولد السيد حسن – أمين صندوق الحركة الحالي بتوصية من أبيه – شكل جناح خاص به عن أصحاب الفصل والحقيقة كلها أنها أكل باسم

الدين وعمل دعوي في سبيل استمرار تدفق الأموال فهم يستثمرون فكر حسن التهامي وهم يخالفونه منهجا ليأكلوا ويشربوا وينكحوا ويشيدوا البيوت ويتنعموا بالمال!

لماذا أكتب الآن؟

كانت التناقضات التي امتلأت بها حركة أنصار المهدي ملأت قلبي ضجيجا غير أني كنت مستعدا للتضحية بنفسي ومالي ومصالحي في سبيل الدين وكنت أحسب أن هذا بلاء في سبيل الله والله سيعوضنا قريبا لا محالة! وبعد أن ذهبت للعراق وإيران وزرت المشاهد المقدسة ورأيت من عجب محمد وآل محمد ما رأيت لقيت شخصيات عميقة في الشأن المهدوي ولديها معلومات أعمق مما كان عندنا وحصل بيننا نقاشات طويلة وعميقة انتهت من جانبي إلى طريق واضح أن حسن التهامي واقع في باطل واضح وأن سنة الله عزوجل في من يغير المنهج هي أن يُضرب بسيف البداء والعقاب! كان هذا السيف بمثابة الفرج الإلهي ولعله كان عاقبة صبري فما إن ظفرت به حتى هويت به على باطل أفكار حسن التهامي والتي كانت مخزنة في قلبي فما زلت أضرب بها الفكرة تلو الفكرة وأزيح به كتل الظلام وافتح طريق مسالك الشمس إلى قلبي حتى وجدت أنه لا بد أن أضرب حسن التهامي ذاته بهذا السيف وأن تكون قصة تكتب وتجربة حياة وقطعة من التاريخ وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!

ملاحظة مهمة: البداء يعني هنا أن حسن التهامي كان مهيأ ليكون هو المهدي ولكن بسبب أنه غير طريقة الأنبياء والصالحين فغير الله نعمته عليه! وهذه قد تكون قناعتي وأحترم من لم يعطي حسن التهامي هذا الاحتمال فلكل رأيه، ورأيي في أنه كان مهيأ يستند إلى الصفات المذكورة في الآثار التي انطبقت عليه والله ولي التوفيق!

وكذلك فقد شعرت بأن صمتي يعتبر موقفا سلبيا وكتما للحق وتضليلا للأمة من بعدنا وقد قال الله عزوجل "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه"! وقد أصبح مشايخ الفصل يغامرون بحياة الشباب ويغررون بهم ويصنعون لهم معارك وهمية هدفها السلطة والمال!

لماذا أكتب أنا وليس غيري؟

بعد اختفاء السيد حسن التهامي واجهت أصحاب الفصل وحيدا وهززت بنيانهم هزة لم يجدوا منها مخرجا حتى لجئوا لسلاح من لا سلاح له ومع ذلك فقد واجهتهم بمثله فسكتوا، فكوني قديما في الحركة يقتضي وجود كروت في يدي دوما للمواجهة بالإضافة لفهمي العميق لتحركات وردود فعل قادة هذه الحركات الإسلامية وطبيعة ميولهم في المواجهات الفكرية! وهذا كله وأنا بارئ من حولي وقوتي متكلٌ بكل ثقلي متكئٌ على حول وقوة الله جل شأنه القائل في كتابه: "وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون".. فأنا أكتب لأني عميق ولأن عندي معلومات والمعلومة الصحيحة العميقة هي من تحسم المعارك سياسية كانت أو فكرية وحتى العسكرية فلذلك امتلاكي لها وقدرتي على المناورة بها وهندستها والضرب بها هو أفتك سلاح ولذلك لا يحق لي أن أصمت بل لا بد من تسخير هذا السلاح في نصرة الدين والثأر لله ومحوا للشبهات عن حجة الله القادم المهدي عليه السلام! ولأني خرجت من حركة أنصار المهدي التي أسسها التهامي ولم أيأس من المهدي فأنا أتكلم وأنا ثابت على طريق المهدي وكتابتي هي تنظيف للساحة من الزيف!

السياق الزمن والجغرافي

ما بعد الغزو الأمريكي في العراق عاشت الأمة في انتكاسة ومذلة وانكسار شديد خرجت على إثره الجماعات الجهادية للثأر لهذا الدين وهي أقصد تلك الجماعات وإن كانت لها جوانب سيئة فقد كان لها جوانب إيجابية جدا وقد أعادت للأمة جزءا من كرامتها وأرهبت المحتل وأعادت بعض الحقوق واستشهد في قيامها الكثير من خيرة أبناء الأمة أعرف عددا منهم وحين النظر إلى واقعهم لا تملك إلا أن تشهد لهم بأنهم من خيار الناس وأن الله سيجزيهم على نياتهم، مع وجود مخالفات واضحة للدين وتعصب شديد وتكفير وقتل لطبقات عظيمة من

المجتمع الشيعي وهذا يعود إثمه على قياداتهم التي يحشدونهم بالخطاب الطائفي المقيت بينما يتنعمون هم وأولادهم في النعيم والمال والشهوات! أما قيادة تلكم الحركات الجهادية فقد تم اختراقها وتسييرها والعبث بمفاهيمها ومبادئها وإذا أردتم أن تعرفوا الصورة مختصرة فيكفي أن تعرفوا أن أبو محمد الجولاني / السيد أحمد الشرع اصبح رئيسا لسوريا واندمج في النظام الحكومي العالمي الذين كانوا يكفرون به أيام فتواتهم وأيام تفجيراتهم العشوائية! وأنا هنا لست لألوم أحمد الشرع وإنما أوضح أن من فجر نفسه من جنود الجولاني لم يكن ليرضى بما آلت إليه الأمور الآن في دولة سوريا أحمد الشرع!

في تلكم الأيام بحث الكثير من الشباب عن الدين ليتقطعوا في سبيله، لعلي كنت واحدا منهم، ومع غياب المرجعية الدينية وفشل كثير من النماذج الموجودة في الساحة في اقناع الشباب أنهم القدوة الأسمى التي تمثل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان علينا البحث يدويا والسفر وترك الأهل والديار والمصالح في سبيل الوصول إلى الدين مضحين بأرواحنا وأموالنا وعلاقاتنا وكل ما نملك! كنا نمضي بدون وجهة لعلنا نجد الله هنا أو هناك والكثير كان يصل لقناعة أن يفجر نفسه مع أي جماعة لعله يصل إلى الله الذي طالما بحث عنه فلا تلومونا! ولا تلوموهم!

في اليمن تحديدا الشعب متدين جدا ومضحي جدا وفي كل الجبهات القتالية كان اليمانيون دوما هم الوقود فانتعشت الحركات الجهادية كتنظيم القاعدة والدولة الإسلامية في اليمن وكذلك أنصار الله وكذلك الجيش الوطني وقاتل معهم الكثير من الشعب اليمني لأن هذا الشعب هو شعب جبهات شعب مقاتل شعب مستعد أن تقنعه بالدين فيموت في سبيله أو يقتل!

في هذه الظروف نشأت حركة حسن التهامي واعدين الشباب اليمني بالأحاديث والآثار محرضين لهم على الاجتماع لنصرة حفيد رسول الله المهدي والذي قد يكون موجودا بيننا بعد نشر صفاته والتلميح لفلان بشكل أو بآخر وكما هو الواقع فحركة أنصار المهدي وظفت الأحاديث بشكل جيد وكان كثير من أحاديثها صحيحة ومثبتة في الكتب ولكن ليس كل أدبياتها تتوافق مع منهج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وحركة انصار المهدي لم تكن استثناء بل هذا هو واقع الجماعات الإسلامية في الساحة حصرا بدون استثناء إلا ما رحم ربي!

منهج الكتاب وحدوده

الكتاب يستند إلى الشهادات المباشرة كمصدر أول حيث معظم ما ذكرت كنت شاهدا عليه بطريقة مباشرة غالبا وأحيانا عن طريق مصدر أو اثنين! كما أن كثيرا مما أشير إليه موجود ومثبت في أدبيات حركة أنصار المهدي المنتشرة في الشبكة العنكبوتية وقد أشير إليها في نهاية الكتاب لمن أراد أن يقرأ ويتوسع أكثر ويتأكد.

كذلك يستند الكتاب وبقوة إلى حجج عقدية وكثيرا ما تراني استشهد بمفاهيم عقدية ثابتة وآيات واضحة من القرآن الكريم. بنائي للحجج يستند من سرد حقائق وأحداث خاصة ثم توظيفها في إطار عام لتكون الصورة والنمط الذي ننتقده في حركة أنصار المهدي واضحة لجميع الشاهدين والمراقبين والمهتمين!

في هذا الكتاب أحاول جاهدا الفصل بين ما عشته وبين ما استنتجته من رؤى وقناعات وحقائق واضحة لكي أترك الخيار للقارئ في تحديد موقفه من حركة أنصار المهدي! وسأحاول الفصل بين الواقعة والتفسير بتوجيه السؤال للقارئ وإشراكه معي في وجهة النظر والتساؤل!

أحكامي أو قناعاتي في هذا الكتاب ليست موجهة ضد كل أتباع المشروع أو كل من دخل وناصر وأيد في يوم من الأيام وإنما كما قال الله "كل نفس بما كسبت رهينة"، وكما قال "لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم!"

لا أدعي أن كل ما هو في المشروع باطل فقد أفردت فقرات لتوضيح الجوانب الإيجابية التي كانت وعشناها ورأيناها في حركة أنصار المهدي!

أعترف أني كنت طرفا مشاركا في الحركة غير أنه بعد غياب السيد حسن التهامي وبعدي عن أكثر أنصاره الذين بدلوا قد يسمح لي أن أقول أني تحولت من طرف مشارك إلى مفكر مراقب للوضع وشرحه ونقده من زاوية عادلة.

وأتوقع جدا أن من في المشروع سيرفضون هذا الكتاب بشكل أو بآخر ولكن سيحدث عندهم تساؤلات لن يصمدوا أمامها ونفوسهم وقلوبهم ستنطق ضدهم حتى يهديهم الله أو يستمروا في الشتات والعمى!

قراء هذا الكتاب

رسالتي هنا موجهة سواء لمن كان في مشروع حركة أنصار المهدي أو أي مشروع ديني مشابه أن يتفكر ويستخدم الأدوات المذكورة في هذا الكتاب ليعرف أين يقف بالضبط وأين تقف حركته بالضبط مقارنة بما سنناقشه في حركة أنصار المهدي وبناء عليه لن يعجزه قرار واعي يتخذه فيه مصلحته في الدين والدنيا!

وكذلك من خرج من جماعته ويحتاج إلى تفسير لماذا خرج وهل هو آثم وتردده بين أن قراره صحيح وبين شعوره بالإثم أهدي لك هذا الكتاب!

وكذلك من يدرس حركة أنصار المهدي من الخارج وأعياه الفهم بسبب تعقيد الملف وتشابك الحقائق أهدي لك شهادة من الداخل!

وأنا هنا لا أطالب القارئ بتصديق كل شيء ولا أطلب منه موقفا مسبقا ولا أشترط عليه أن يكون شيعيا أو سنيا ولا حتى مسلما ليفهم. فهذا الكتاب واسع ليفهمه الجميع وما ذكرته من ارتباطي بجماعات وطرق معينة كان في سبيل البحث عن الله وليس لترجيح مذهب على آخر فمهما رأيت أيها القارئ أن لهجتي تقترب من جماعة معينة فلا تتهمني! إنما أنا أعيش باحثا وكل جماعة قضيت معها وقتا كان لها جزء ونصيب في تشكيل شخصية الكاتب، فلو عاشرت الصوفية طويلاً لوجدت كتابا بنفس هذا الفكر ولكن بنبرة صوفية مثلا! والأمثال كما قيل تضرب ولا تقاس!

أطلب من القارئ الكريم القراءة الكاملة قبل البحث وقد ألزمت نفسي بأن لا أتجاوز المائة صفحة قدر الإمكان جاهدا لتقديم نسخة معقولة للقراء لا تأخذ منهم وقتا طويلا كما أطلب من القارئ أن يميز ويفرق بين ما عشت و

بين ما استنتجت من مفاهيم وأطلب من القارئ أن يسأل نفسه هل مرت عليه أحداث مشابهة في حياته من هذا القبيل في أي جماعة أخرى!

قبل بداية هذا الكتاب لا يسعني إلا أن أقول كما قال الله في كتابه:

"ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم" الأعراف 52...

توضيح مهم

حين يغيب الشهود يملأ الفراغَ الأسطورةُ. وحين يتكلم الشهود يُقال لهم: انتقام: لعله ينتقم من أشخاص، أو يقال تشفٍّ: لعله يتشفى في وضع حركة أنصار المهدي بعد غيابه! أو مَنٌّ: لعله يمن على من انتفع من ماله وجهده يوماً، أعرف هذا. وكتبت بالرغم عن ذلك جميعه.

حركة أنصار المهدي ظاهرة عميقة في المشهد اليمني الديني والسياسي، يعرفها كل مهتم. ومنذ غياب حسن التهامي في نوفمبر 2019 حاولت معالجة الموضوع بشتى الوسائل، وواجهت من يُعرَفون بنوابه مواجهة يعرفها المراقبون. أفضت تلك المواجهة إلى خروج رجال بارزين من الحركة من بينهم إخوة التهامي أنفسهم الذين كانوا مخدوعين! أو عارفين صامتين!

ما في هذا الكتاب من تفاصيل حساسة ليس قنبلة رُمي بها في الظلام. هو شهادة مضبوطة الأسماء والوقائع. والقسوة التي يلاحظها القارئ في بعض المشاهد ليست خياراً أسلوبياً هي ثمن الوضوح في أمر مرتبط بالله وبالدين. من تصدّر لقيادة الأمة يستحق الفحص. هذا مبدأ عقلي قبل أن يكون ديني.

الحكم ليس لي. المادة أمامك.

فهرس المحتويات

المقدمة

تركت النرويج باحثاً عن الله.

لم أكن هارباً من النرويج. كانت النرويج تعيش حياتها بهدوء، كما تعيش البلدان التي لا تسأل كثيراً عن المعنى. مدارس ترتيبها ممتاز، وطرق نظيفة، وحقوق مكفولة، وصحة مجانية، ووضع سياسي واقتصادي فوق مستقر، وبيئة جميلة وناس هادئون مسالمون، وصمت عميق في كل شيء. ذلك الصمت هو ما لفت انتباهي لا لأنه مزعج، بل لأنه كان يملأ كل شيء ولا يملأ شيئاً. كنت شاباً يكبر بين عالمين: النرويج في الشمال، اليمن في الذاكرة، والله في مكان ما بينهما لم أعرف كيف أصل إليه.

عام ألفين وأحد عشر. كان العالم العربي يشتعل، والشباب يملأ الميادين بأشياء لم أعرف تسميتها بعد. لم يكن ما أحمله سياسة بل كان جوعاً. جوع لا تسكته الجامعة ولا العمل ولا الحياة المرتبة على النمط الغربي. أردت الإسلام الحقيقي، لا الإسلام الذي يتعايش بأريحية مع الحداثة ويطمئن إلى حدوده ولا يطرح أسئلة كبيرة. غادرت إلى صنعاء باحثاً..

في تلك الفترة كانت ميولي نحو تنظيم القاعدة. أقول هذا دون تجميل، ودون خجل مبالغ فيه. لم يكن ذلك عشقاً للدم بل كان نتاج نفس الجوع الروحي الذي يقود أي شاب يحس أن العالم بلا معنى ويريد أن ينتمي إلى شيء مطلق. الإنسان حين يجوع روحياً لا يبحث عن الراحة يبحث عن معركة.

والتنظيمات التي تملك يقيناً حديدياً تعرف كيف تطعم هذا الجوع بالوهم. ثم وجدت محمد عبده / حسن التهامي. وفي قصة تعرفي عليه هناك أحداث مرتبطة بقول الله عزوجل وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما.." ونؤجل الكلام فيها إلى حين.

نستمر الان فالذي يقع في هذه المشاريع ليس ساذجاً بل هو إنسان يبحث عن معنى حقيقي في عالم فارغ المعنى. والدجالون الأذكياء يعرف أن هذا الجوع أخطر من أي جوع آخر.

أعاد التهامي توجيهي من القاعدة إلى المشروع المهدوي. ربما أنقذني بذلك من خطر لكنه استثمر الإنقاذ. والمنقذ الذي يستثمر إنقاذه نوع خاص من الصيادين: يمسك يدك بعد أن ينتشلك من الغرق، ثم يُفهمك شيئاً فشيئاً أن يدك ملكه.

كان يكبرني بسبعة عشر عاماً. هذا الرقم ليس تفصيلاً هو المفتاح. حين يكبرك المرجع بسبعة عشر عاماً ويدّعي الصلة بالغيب، فإن الخروج من هكذا مشروع لا يبدو خروجاً من مشروع بشري يبدو خيانة لله وللأب في آن. هذه المعادلة كانت مصممة، سواء قصدها أم لا. الفجوة العمرية جعلت العلاقة لا تسير على محور القيادة والتبعية وحسب بل على محور الأب الروحي والابن الباحث. وأنا كنت أبحث عن أب روحي. عرف ذلك، أو أحسّه..

خمسة عشر عاماً. هذا ليس رقماً يُقرأ باسترخاء. هذا عُمُر. عُمُر بكامله من طلب الحق داخل مشروع كان الحق فيه يُستخدم لا يُعلَّم. سُجنت أربعة سنوات وأنا أبحث عن الحق الذي أتيت من أجله وكان المشروع أحد الحقول الذي بحثت فيه عن الله بعمق. ومن داخل السجن كنت أرسل المال إلى أسرته ليس أقول هذا لأمن عليه فأنا مستعد لانفاق أكثر وأكثر فقط لأصل إلى الله. فكر في هذا جيداً: رجل في سجن يُعيل عائلة المشروع الذي سجن بسببه ولو ظاهرا ثم يجد منهم كل شر ومكر. لم أكن

ساذجاً كنت مؤمناً أبحث عن الله كما يبحث سلمان صاحب فارس. والفرق بينهما أقصد بين المؤمن والساذج كبير، والثمن في الحالتين واحد.

أُعيدت تسميتي. صُنِّفت. استُخدمت. جُرِّدت ببطء من أدوات التساؤل، كما تُجرّد الشجرة من أوراقها في موسم لا تختاره. الأشخاص الذين يعيشون داخل هذه المشاريع لا يُجرّدون دفعة واحدة يُجرّدون قطرة قطرة، بتأويل هنا وتصنيف هناك، حتى تجد نفسك بلا اسمك الذي وُلدت به، وبلا مسافة تتأمل من خلالها.

كان بإمكانه أن يخصص جزءاً من المال الذي أنفقه أنا في سبيل المشروع لإعانتي على الزواج الذي كلمته به أول وصولي وتعرفي عليه فننطلق معاً في الدعوة أقوى وأثبت. لكن الزواج يعني الاستقرار. والمستقر يفكر. والمفكر يسأل. والسائل خطر. الحرمان لم يكن إهمالاً ولعله كان سياسة. وللعلم فلم تتضح الصورة وأكتب موقفي في هذا الكتاب الا بعد زواجي وأنا الآن أب لثلاثة أطفال!

ظللت سنوات بلا زواج ومالي يذهب إلى دعوته ومن خلال عنوان الدعوة تصرف الأموال على إيجاراته، وأسرته في صنعاء تشق طريق حياتها نحو الثراء وهو ما سيتضح في فصول هذا الكتاب، بينما أتباعه يتركون حياتهم. هذا ليس قسوة عفوية هذا هو النمط الذي يدرسه علم النفس تحت مسمى الإساءة الروحية: إبقاء التابع في حالة احتياج مستمر، بينما القائد ومن حوله في وضع مختلف. لأن الإنسان المحتاج لا وقت له للتساؤل كل طاقته تذهب إلى البقاء.

ربما لأن قادة هذه الجماعات يرون أنهم ممثلون لله جل شأنه وبالتالي فإن مصير الأمة مرتبط بهم فلا بد أن يؤمنوا استقرارهم لكي يتمثل فيهم الله ثم يهدون البشر في أكمل صورة، فلا يجوز ان

ينشغلوا بحطام الدنيا وجمع حاجات أسرهم بالكد، بينما يجوز لهم شفط دماء الناس والتلاعب بحياتهم وأخذ الخيرات لهم حصرا لكي يؤكدوا رسالة الله..

فأين هم من كلام رسول الله، إني لم ابعث جابيا؟ وبين قول الله عزوجل "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وهل الله عزوجل ارسل هؤلاء لهدايتنا أم لجبايتنا وتحطيم حياتنا وإعادة بناء أسرهم المنهكة؟

وقد كان حسن التهامي قد أخبرني في البداية. والناس أحياناً يخبرونك بما سيفعلونه قبل أن يفعلوه.

حين تقدمت إلى كريمته بالزواج في بداية علاقتنا، قال لي: أنا مش من النوع اللي يضحك عليك ويأخذ فلوسك إذا حاب خذ فلوسك وروح تخطب بنت ثانية! فكان كلاما غريبا لم أفهمه حينها! كان هذا تحذيراً. لم أسمعه. كنت أسمع ما أريد سماعه، كما يفعل كل من يبحث عن يقين ويجد من يمنحه صورته. والصورة كانت جميلة: رجل صادق، لا يريد مالك، يرفضك إن شئت. ما لم أفهمه آنذاك أن الكريم الحقيقي لا يحتاج أن يُذكّرك بكرمه. وصبرت على مضض وقلت لعلنا ندرك فتوحات المهدي ونتزوج مع ان الزواج حاجة بيولوجية من الضروريات وكانت الظروف والموارد متاحة ولكنه أحب أن ينتفع هو قبلي بشكل واضح مع اظهار الورع!

كانت التساؤلات ترد على ذهني وتكبر وتتوسع ولم أجد لها جوابا سوى اتهام نفسي بالتقصير وان مولانا اعلم بالخير والفرج قريب وضقت ذرعا حتى وجدت سيف البداء في العراق.

البداء ليس هروباً من الإيمان هو الباب الذي يُفتح من داخله. ولم أجده حتى هممت بزيارة أئمة الهدى وزرتهم فعرفت البداء، كأنهم أكرموني به كسلاح لأبدد به الزيف المنتسب إليهم.. وجدت في البداء ما يُفسّر كيف يُخطئ من يدّعون الصلة بالغيب، وكيف أن كل يقين بشري يجب أن يبقى

تحت مظلة التسليم الإلهي لا فوقها. وجدت أن البداء ليس اعترافاً بالفوضى هو اعتراف بأن الله أكبر من كل من يحتكر تأويله. لم أترك الإسلام. تركت رجلاً أساء استخدام الإسلام. والفرق بين الأمرين هو الفرق بين الحرية والضياع.

وأهدي هذا السلاح لكل أعضاء الجماعات الصادقين، فلو افترضنا أن قادتكم ممثلون شرعيون لله عزوجل فألزموهم بكتاب الله وحديث رسوله فإن خالفوه او رفضوه فاضربوهم بسيف البداء بلا رحمة!

هذا الكتاب مكتوب لثلاثة قراء.

الأول: الشاب السني الذي يجد نفسه داخل حركة تدّعي الإسلام وتملك يقينه وتسرق وقته وتُعيد تسميته وتُضيّق على علاقاته. أقول له: ما تشعر به من ثقل الخروج ليس ضعفاً هو دليل على أنك دخلت بصدق. والذين يدخلون بصدق هم الأثمن والصيد الأسمن، وهم الأكثر استهدافاً. وكما هو معروف في كل الحركات وبلهجتنا اليمنية الدارجة، ما يقرح إلا راس كم من شهم! فالصادقون هم الاستشهاديون هم المضحون هم المقتحمون هم المستعدون لتحويل المبادئ إلى دماء، هم الذين أقنعهم زعماء حركتهم ان العيش فوق – العالم الأخروي – أفضل من العيش تحت – العالم الدنيوي – بينما بطون أولئك الزعماء تمتلئ بموائد الدنيا، ويتمتعون بالشهوات ويعمرون المساكن وتتعدد زوجاتهم ويكثر عيالهم! لماذا لعلهم يشبعون يوما من الدنيا فيهدون الناس كما امرهم الله.

الصادقون مطلوبون داخل هذه المشاريع لا لأنهم مُكرّمون، بل لأنهم وقود. هذا الكتاب مرآة، لا فتوى..

الثاني: الشاب الشيعي الذي يعيش تحت ممثل زائف، رجل يدّعي الصلة بالإمام ويعيش وينتفع هو ومن حوله من هذه الصلة ويُضيّق على من يسأل ويُصنّف كل خروج عن رأيه خروجاً على الدين. أقول له: التشيع الحقيقي بُني على السؤال لا على إسكاته. الإمام الصادق علّم أصحابه أن يعقلوا، ولم يعلمهم أن يستسلموا. ممثل الإمام الذي يخشى أسئلتك لا يمثّل إماماً، بل يمثّل نفسه.

الثالث: من ترك الدين بسبب هذه النسخ. أقوله بكل تأنٍّ، بلا خطاب ولا استعلاء: أنت لم تترك الله. تركتهم. والفرق بين الاثنين هو الفرق بين شمعة مزيفة أُضِيئت بها حقيقة ثم احترقت، والشمس التي لم تُسأل عن رأيها في الشمعة. كثيرون خرجوا من الدين وألحدوا لأن من مثّلو الدين أمامهم كانوا زنادقة كانوا فاسدين كانوا طراطير ان صح التشبيه ومثلوا الدين أسوأ تمثيل ممكن. لا أطالبك أيها الملحد بالعودة. أسألك فقط: هل جربت الله بنفسك، قبل أن تحكم على التجارب التي عشتها عبر غيرك؟

هذا الكتاب ليس اتهاماً لرجل بعينه وإن تناوله بالاسم والحجة. هو محاولة لرسم نمط لأن النمط هو الخطر الحقيقي. التهامي ليس حالة استثنائية. هو مثال على مشروع له نسخ في التاريخ الماضي وربما التاريخ القادم: رجل يضع إصبعه على جرح روحي حقيقي في شاب حقيقي، ثم يعيش من ذلك الجرح دون أن يعالجه. ما دام الجرح مفتوحاً، التابع محتاج. وما دام محتاجاً، الباب مغلق.

اليوم أكتب لأقول لكل من هو في الطريق: الباحث عن الله لا يُؤسر يُستضاف مؤقتاً حتى يجد طريقه. فإن أسرك أحد باسم الله فاعلم أن المُضيف قد تحوّل إلى سجّان، وأن الحق لا يحتاج إلى قضبان.

الفصل الأول

مشاريع أسرية ولا تنخدع

الصنم الأول: محمد عبده نموذجاً

المشهد

كان الطريق إلى بيت الفتاة طويلاً، وكان الرجل الذي يسير بجانبه يُعرَف عند أتباعه بـ"حسن التهامي"، وإن كان اسمه الذي وُلد به محمد عبده اسمٌ عادي، من بيت عادي، في مدينة الحديدة. قال له وهما في بيت التهامي في الطريق إلى بيت البنت للخطوبة: "صلِّ الاستخارة"

ثم سأله بعد اللقاء: "كيف رأيتَها؟

فقال إدريس الذي باتَ اسمه في دفاتر المشروع "شعيب" بصدق مَن لا يُحسن الكذب: "أعجبتني، هي أفضل من كل ما رأيتُ قبلَها.

في تلك اللحظة رأى إدريس شيئاً في عيني الرجل. لم يكن غضباً صريحاً، ولا فرحاً مُعلناً. كان شيئاً أكثر عتمةً من ذلك بريقٌ شرير يومض ثم ينطفئ. لأن إدريس، بجملة واحدة خرجت من القلب، كان قد رتّب النساء ترتيباً لا يُطاق: هذه الفتاة التي اختارها محمد عبده له بيدٍ كريمة كانت في نظر إدريس أفضل من ابنة المهدي، وأفضل من أخت المهدي، اللتين رُدّ فيهما وأُهين!

لعل المهدي المنتظر لم يتحمّل أن يسمع أن امرأةً ارتضاها لغيره تفوق نساء بيته في نظر غيره ولعل هناك سبباً آخر.

الاسم أولاً

محمد عبده اسم يحمله آلاف اليمنيين، ولا شيء فيه يُوحي بالمنزلة ولا بالنسب. لكنه أعطى نفسه اسم "حسن التهامي" وفي هذا التقسيم حيلة ناعمة: حسن التهامي يدعو للمهدي، والمهدي هو محمد عبده، والذكي من الأتباع يفهم دون أن يُصرّح له. الاسم المزدوج للشخص الواحد الستارة والمثل في آنٍ معاً.

وإدريس؟ أصبح "شعيباً"

وليس اعتباطاً. في الموروث المهدوي، شعيب بن صالح اسمٌ يتكرر في الروايات قائداً للجيوش، رفيق الإمام الأقرب، من يُقدِّمه للناس ويمهِّد طريقه. فحين يُسمّى إدريس شعيباً، لا يُعطى مجرد لقب يُوضع في موضع محدد في الخريطة الكونية للمشروع.

والأدهى: أن شعيب كان موجوداً قبل إدريس. كان ناصر الأهدل الذي سيأتي ذكره هو من أُشير إليه بهذا الدور أولاً. ثم مات ناصر. فانتقل المنصب إلى إدريس كما تنتقل الوظيفة الشاغرة إلى موظف جديد. والمفارقة التي تستحق أن تُقال صريحة: إدريس، الذي انتقل إليه منصب شعيب بعد موت صاحبه، هو من يكتب هذه السطور الآن.

فمَن يملك تسميتَك يملك شيئاً من روحك. ومَن يملك منصبَك يملك مصيرك في الخريطة.

وهذه هي البداية.

باب البيت المغلق

كان إدريس مؤمناً. ليس الإيمان الرقيق الذي لا يكلِّف شيئاً، بل الإيمان الذي يدفعك إلى أن تُريد أن تكون من بيت الإمام، أن يكون صهراً لك وتكون صهراً له، أن يتشابك نسبك بنسبه كما يتشابك إيمانك بيقينه. ذهب يطلب

أخته للزواج بعد أن عرف أن ابنته مرتبطة برجل في السعودية كان مرتبطاً بالأسرة الحاكمة وكان من أنصار التحرك المهدوي في السعودية بقيادة محمد عبده المعروف لاحقاً باسم حسن التهامي.

قال محمد عبده: الأهل يرفضون.

ثم أردف وهنا يكمن السمّ أن الناس الذين ذهبوا إلى الصومال وعادوا إلى اليمن لهم أصول نبيلة لا يُدركها الآخرون.

توقّف عند هذه الجملة.

رجلٌ يدّعي الإمامة الكبرى، القيادة الكونية للأمة جمعاء، المهدوية التي لا تعرف قبيلةً ولا لوناً ولا جهةً هذا الرجل يتذرع بالأصول والنسب حين يُريد ردّك برفق. يقول لك بلغة مُهذّبة: أنت لستَ في المستوى.

فأين المهدي الذي يقول لكل الناس "أنتم سواسية كأسنان المشط"؟

انتظر، لم تنتهِ الحكاية بعد.

الأخت والغريب والخاتم

أصرّ إدريس على طلب أخت المهدي.

المماطلة نفسها، والنهاية أشدّ. رفضت الأخت بلغة مُسيئة. وأسرة محمد عبده أسرة المهدي المنتظر، حاملة راية العدل الإلهي كانت ترى في إدريس "خادماً"، كناية عن طبقة الأخدام المهمّشين في اليمن.

ثم جاء الغريب من البيضاء.

شاب تعرّف عليه الأصحاب من خلال الدعوة في المشروع المهدوي. طلب الخطبة ووُفِّق وقبله الجميع. وُضع الخاتم في يد أخت التهامي. ثم قُتل الشاب أو أُصيب وانقطعت أخباره.

السجن والخمسمائة دولار

سُجن إدريس بسبب المشروع. لا بسبب جريمة من جرائم نفسه، بل لأنه كان جزءاً من مشروع رجل يجلس خارج الأسوار.

بعد مضي سنتين وسبعة أشهر.

في ذلك الظلام، حصل على هاتف ذكي. وكان يتصل. وكان الاتصال لا يُذكِّره بحقوقه على الذين في الخارج بل يُذكِّره بالمشروع، بالرسالة، بالصمود. وذات يوم والسجن حوله والقضبان تُحيط به أرسل نحو خمسمائة دولار قد تزيد إلى أسرة محمد عبده حين ضاقت بهم الأحوال.

خمسمائة دولار من رجل مسجون لأجل هذا المشروع، إلى أسرة صاحب المشروع.

اسأل نفسك: مَن هنا الإمام ومَن هنا الرعية؟

في المقابل، في الخارج، كان محمد عبده يُزوِّج ابنته من شيخ قبلي معروف اسمه مأمون حاتم في سبيل دعوته للمهدوية تقرُّباً من تلك الجماعات. وللطرفة فقد سأل حسن التهامي الشيخ عبد الإله الذهب عن نسب بيت إدريس وهل هم سادة فأكد له الذهب ذلك، فلعله وجد جواب سؤاله الحثيث المشكك في نسب صاحبه وإن شئت فقل ليشفي ما كان في صدر أهله من شكوك تجاه اليد التي امتدت إليهم دوماً بالخير!

لنستمر، فالمال والقبيلة والسلاح كما يظهر هو عقد الزواج الحقيقي. ثم قُتل مأمون حاتم. وما إن برد الجثمان حتى أرسل إدريس من داخل زنزانته بطلب يد الأرملة فرُدّ. ثم تزوجت من سعودي آخر بصلات بالديوان الملكي.

القاعدة واضحة: باب البيت يُفتح على المال والسلطة، ويبقى موصداً على الإيمان الخالص.

فأين المهدي في هذا الاختيار؟

الابن والتجار والمهر المُفشَل

حين يُخفق القائد في تزويج ابنته إلا بالقوة والمال، فلْنَرَ كيف يُزوّج ابنه.

حاول محمد عبده أن يُزوِّج ابنه من ابنة تاجر في رداع فرُفض. حاول من تاجر آخر في رداع فرُفض. فاستقرّ على تزويجه من ابنة رجل بارز داخل المشروع نفسه – وقبل أن يزوج ابنته لم يكن له شأن كبير –، لم يكن ثرياً يومها ثم صار ثرياً بعد ذلك.

المشروع الديني يُوزِّع المكاسب على من يصبر. الابن أخفق في السوق التجارية فعاد إلى السوق الداخلية. وتلك السوق محمية فيها ضمانات لا يُعلَن عنها. وقد كان من الطريف الذي سمعته من حسن التهامي أن ابنه عبد الله بعد محاولاته في الزواج ورد كثير الناس الذين كان يبحث عنهم له قال: "الظاهر كرتنا ما يمشيش!" فلا أدري كيف أفسر هذا التناقض بين طلبهم لمعالي الأمور ورؤية أنفسهم أكبر من بعض طبقات المجتمع! بينما هم بأنفسهم يعانون من نظرة احتقار بعض الطبقات لهم! وعجبا فكما تدين تدان!

والابن نفسه؟ وصفه أبوه محمد عبده بلسانه وبكلمته بأنه "من شرار الناس". لصٌ سرق من بيت يعرفه هو جيدا ولعله يقرأ كلماتي هذه فيتذكر أني لست بغافل عنه! ، سرق من أكثر من مكان، وجمع عصابة من المهدويين المؤمنين ليضرب بها خاله في وسط بيته وأمام زوجة خاله وجده أبو أمه!

ثم جاء اليوم الذي رفع فيه محمد عبده يده أمام الأتباع وقال وقد شهد على ذلك الثقات ممن حضروا الدورة التربوية المعنونة باسم "عصبة شوال"، قال:

"من كنت مولاه فهذا عبد الله مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه". ولنا هنا استطراد لطيف،

حقا لقد المهدي ذلك فتعالوا ندرس الأمر فلا بد كونه الإمام الثاني عشر أن الله يطلعه على علم الغيب ومآلات الأمور فكونه قال من كنت مولاه فهذا عبد الله مولاه فنفهم أن الله يعرف أن ولد التهامي وسر أبيه من بعده لن يضل أبدا وسيكون قرينا للقرآن حتى موته، هكذا نفهم كمؤمنين، تعالوا الآن ننظر للواقع!

بعد غياب مولانا واختفائه تمتع عبد الله بالمال وظهر عليه أثر الثراء واشترى السيارات وأكل اللحوم ثم لم يلبث أن انشغل بالتسكع في شوارع صنعاء ودخل في غياهب هو أعلم بها، ولكنها غياهب لا تليق برجل عُيِّن إماماً بعد أبيه!

مولانا الذي أمرنا التهامي بتوليه أصبح يطوف الشوارع بحثا عن ما لا يليق وتسربت له صور – وما خفي مما سمعنا به أعظم – وهو بحلاقة شعر ولباس تناسب وضع الصياد الماهر، تفكرت حينها كثيرا ولا زلت أتفكر..

جاء في بالي خاطر ما الذي يريده الله مني الان كمؤمن؟ فمولاي المهدي قد أمرني باتباع ابنه عبد الله الإمام الثالث عشر من بعده وأنا انظر لإمامي الثالث عشر يتسكع في الشوارع...

فأنا كأنصاري متبع للمهدي أفهم من التوجيه أن علي أن ألبس الجنز واحلق شعري وانزل مع مولاي عبد الله نزولا ميدانيا إلى أي شارع يختاره سماحته ثم اجتهد معه في البحث ما يناسب رغبات مولاي الجامح! ثم أعود إلى بيتي وأنا أشعر أني نفذت المهمة الإلهية التي كلفني الله بها على لسان إمامه الثاني عشر!!

السؤال: إذا كانت موالاة عبد الله حسن التهامي هكذا فلي أن أتساءل.. هل أمرنا الله أن نكون قوامين بالقسط أم أمرنا أن نكون قوادين مع الظالمين! ألم يقل الله قال في كتابه: "وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد"!

أنت تأمرني هنا بأن أقيم وجهي عند كل مسجد وهو ما أفعله حقا بعد غيابه أنت لم تأمرني بأن أقيم وجهي في كل شارع مع عبد الله حسن التهامي!

حسن التهامي هنا أخذ صيغة الحديث النبوي الأعظم وصبّها في ولد وصفه هو بنفسه بأنه من شرار الناس.

فأين المهدي حين يكون ابنه من شرار الناس ومع ذلك يُنصّب خليفةً بكلمات النبي؟

أمين الصندوق وسقوط القناع

حين خرج إدريس من السجن، أسكنه محمد عبده أياما في بيته ثم أحاله إلى غرفة في بيت أحد تجار المشروع الميسورين. الغرفة لم تكن هبةً كانت انتظاراً. وجاء الانتظار منتهاه: أُخرج بأدب، فانتقل إدريس إلى دكان.

وفي تلك الفترة بدأ محمد عبده يرتفع مالياً، ارتفاعاً لا يُعلَن له مصدر. عيّن أمين صندوق وهو وحده يعرف من أين يأتي المال وإلى أين يذهب. ثم أبلغ إدريس: إذا أردتَ أن تتواصل معي فعليك أن تمرّ بأمين الصندوق أولاً. إنه "تنظيم المشروع".

في تلك اللحظة انتهى كل شيء.

الرفيق الذي سجن من أجل هذا الرجل، والذي أرسل المال من داخل القضبان، والذي حمل الاسم الذي سُمِّي به هذا الرفيق تحوّل إلى باحث عند أمين الصندوق ليلقى رفيقه القديم! صار إدريس رقماً في قائمة يديرها أمين الصندوق.

القناع لم يسقط بضربة درامية. سقط بجملة إدارية باردة من فم حسن التهامي!

وهنا قال محمد عبده معاتباً ذات يوم: أنت بعتني بمعنى خنتني وكانت كلاماً مزحاً جداً كما يُقال. وأصدق الكلام ما قيل في مزح.

فرد عليه إدريس: أنت الذي بعتني.وكان لهذه المحادثة ما بعدها!

لكن المدهش وهنا تظهر براعة الصنم أن محمد عبده استمر في تكليف إدريس بمهام كبرى في المشروع بعد ذلك.

لأنه لا يحتاج إلى قلبه. يحتاج إلى كفاءته. الصديق انتهى لكن الأداة لا تزال صالحة.

طبقة الجزارون والمدح الرخيص

الجزارون هم طبقة لهم احترامهم وقدرهم في مجتمع اليمن غير أن العادات والتقاليد تفرض قيودا بينهم وبين المجتمعات القبلية والهاشمية في بعض الأمور وليس موضع نقاشنا الان!

حين طُرح سؤال الزواج مجدداً، اقترح محمد عبده على إدريس أن يتزوج من أُسر الجزارين.

لم يكن هذا خطأً في الجغرافيا الاجتماعية. الرجل يمني. يعرف تماماً ماذا يعني أن تعرض على هاشمي حسني أن يتزوج من أُسر لا تتزاوج مع أُسرته! ويعرف أن هذا كسر للعرف والعادات والتقاليد! هذا لم يكن اقتراحاً هذا كان تصنيفاً. هذا قول: أنتَ هنا، وليس هناك.

بعدها عرض عليه أرملة ناصر الأهدل رحمه الله.

ناصر الأهدل دعونا نتوقف عند هذا الاسم، فهو يستحق أن يُذكر ولا يُحذف.

رجلٌ حقيقي أنفق ماله وعمره ووقته وصحته في المشروع. رجل بأسرة حقيقية وأطفال حقيقيين أربعة أو خمسة كانوا ينتظرون أباً عاد منهكاً. مات ناصر الأهدل وقوداً لمشروع. والذي ضحّى بدمه يجب أن يعيش أولاده بنفس المرتبة التي يعيشها أولاد من استفاد من دمه وقوداً لمعركته أو أحق. فماذا فعل محمد عبده بأرملته؟ قدّمها لإدريس كحلٍّ لمشكلته.

لم يكن ذلك تكريماً لناصر ولا رعاية لأسرته. كان تدويراً للتبعات. الأرملة مشكلة، وإدريس مشكلة حلٌّ بحلٍّ.

أما المدح؟ فقد كان محمد عبده يذكر إدريس وناصر الأهدل أمام الأتباع بخير يُثني عليهما، يُعلي من ذكرهما، يجعلهما نموذجاً ومضرب مثل. المدح العلني كان العملة الوحيدة التي يصرفها للمخلصين. أرخص من الدرهم وأثقل من الذهب في نفس المؤمن الذي يبحث عن اعتراف.

ناصر الأهدل نال المدح. ثم مات. وذهب ماله.

وبقي المدح يُلقى في المجالس بعد رحيله كما تُلقى الزهور على القبور.

وناصر الأهدل الذي مات وقوداً للمشروع لم يكن ضحية في الموت فحسب. كان ضحية في الحياة أيضاً.

طلب يوماً يد أخت حسن التهامي. طلبها بصدق من يؤمن أن الانتساب لهذا البيت شرف لا يُقدّر. فرُفض. وبكى.

رجل يموت في سبيل مشروع لا يستحق في نظر صاحبه أن يكون صهراً له. المدح الذي يُكال له في المجالس لم يكن تكريماً كان تعويضاً رخيصاً عن باب موصد.

فأين المهدي حين يموت وليُه ولم يكن أهلاً لبيته في حياته؟

الكفؤ في الميزان

نقف لحظة مع ميزان التاريخ.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي يدّعي أهل كل مهدوية وإمامة أنهم من سلالته أو على خُطاه أين زوّج بناته؟

وهل كان أمير المؤمنين يُوازن بين صلات الديوان الملكي وثروات التجار حين يختار لبناته؟ هل كانت قاعدته:

هذا يملك السلاح وهذا يملك الذهب وهذا قريب من السلطة فليأخذ؟

أم أن القاعدة كانت مختلفة وربما هذا الاختلاف هو الفصل الحقيقي بين الإمامة وادّعائها؟

المقارنة لا تحتاج إلى تعليق.

الكويتي الذي لم يُذكَر في الوقت المناسب

بعد الزواج، وبعد الجفاف، وبعد أن طلب إدريس من أبيه المهر لأن المشروع لم يُنفق عليه ولو درهماً بعد كل ذلك، اكتشف إدريس أن محمد عبده كان يعرف تاجراً كويتياً أسطورياً، رجلاً بعلاقات تكفي لحلِّ مشكلات مادية جسيمة.

كان يعرفه قبل زواج إدريس وقبل زواج ابنه.

استخدم هذه المعرفة في ترتيبات ابنه الزوجية.

وإدريس؟ ذهب إلى أبيه يطلب المهر. ثم قيل له: خذ نفقتك من أبيك. في حين أن محمد عبده وأسرته كانوا يعيشون على موارد المشروع وعلاقاته العامة.

"خذ نفقتك من أبيك."

تساءلت مؤخرا، بعد أن عصفت بي الذكريات: ألم أكن قادراً على أن أقول له خذ تكاليف مشروعك من أبيك، بع من أراضيه، تدبّر أمرك، وأنا معك في المشروع لله وكلٌّ يحمل نفقته؟ أنفقت مالي كله حتى نهض المشروع الأسري عفوا المشروع المهدوي واستوى على رجليه، وجاء اليوم الذي يقال فيه: خذ حاجتك من أبيك.

لكنني لم أقل شيئاً. لأنني كنت أظن أن المشروع هو أبي أزرع فيه ولا أستعجل، وحين تُثمر أشجاره يكون لي نصيب كغيري.

حين أثمرت، قيل لي: خذ نفقتك من أبيك.

هل أراد الله لمؤمنه هذا الذل وهو القائل "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" أم أن الطريق كان خاطئاً من البداية ولم أتنبه؟

العودة إلى الادعاء

دعنا نعود إلى البداية.

رجلٌ أعطى نفسه اسماً جديداً، وأعطى أتباعه أسماء جديدة. رجلٌ يقول إنه المهدي المنتظر بشكل أو بآخر، أو الإمام الذي تنتظره الأمة، أو المركز الذي يلتفّ حوله الخلاص.

هذا الرجل : أغلق باب بيته أمام من آمن به وأنفق عليه ونام من أجله في السجن . فتح الباب للمال والسلطة والقبيلة تماماً كما يفعل كل شيخ طائفة وكل زعيم عائلة في التاريخ . زوّج ابنته بالقوة والعلاقات الملكية . حاول أن يُزوِّج ابنه الذي وصفه بأنه من شرار الناس بثروات التجار. ثم نصّبه خليفةً بصيغة الحديث النبوي . وصّف أتباعه وصنّفهم بلسان حاله ومقاله أو إقراره بالإهانة الاجتماعية هذا من الجزارين وذاك من الخدم . ترك ناصر الأهدل يموت وقوداً، وأرملته عبئاً يُدار . واستمر في مدح من استنزفهم، لأن المدح أرخص من الخبز ولا ينقص من رصيده.

هذا هو بيت المهدي المنتظر من الداخل!

فإذا كان هذا هو بيت الإمام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فماذا سيفعل بالأرض؟

وإذا كانت هذه هي عدالته مع مَن سُجن من أجله، ومَن باع راحته لأجله، ومَن أرسل الدولارات من داخل جدران السجن فبأي ميزان سيزن العالمين؟

الفصل الثاني

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾

صناعة الوحي كيف يُنتج الرجل إلهاماته

ثمة سرٌ لا يعرفه إلا واحد.

هذا هو المدخل الحقيقي إلى النظام. لا تبدأ بالنبوءات المعلنة، ولا بالأتباع المصفوفين، ولا بالخطب المشحونة بأسماء الأئمة. ابدأ هنا: برجل يُودع وحياً عند مقرّب واحد، ويُغلق عليه الباب.

لماذا واحد؟

لأن ما لا يُعلَن لا يمكن تكذيبه. الوحي العلني المُذاع على الملأ ينطوي على مخاطرة: قد يأتي الزمن بما يُناقضه، وحينها يضطر الأتباع إلى التأويل، والتأويل عمل مُضنٍ وشاق يكشف التشقق ولو بعد حين. أما الوحي السري، المُختوم بصدر واحد، فهو في مأمن تام. لا تاريخ يطاله، ولا واقعة تُفحمه، ولا ناقد يستطيع أن يقول: "انظر، قال كذا وجاء خلافه." الشاهد الوحيد هو الحارس الوحيد، والحارس لن يخون لأن الخيانة تعني أنه كان طرفاً في وهم كبير وهذا ثمن لا يُطاق. هذا وسنذكر كذب الهاماته التي خرجت للواقع!

محمد عبده المعروف بحسن التهامي فهم هذه المعادلة جيداً.

بنى نظاماً بطبقتين: طبقة للعموم، وطبقة للخاصة. الطبقة الأولى مكشوفة ومتاحة ومرصودة، وهي بحكم انكشافها قابلة للسقوط. الطبقة الثانية محمية بغلاف السر، وهي بحكم غلافها غير قابلة للاختبار من أصلها. الطبقة الأولى تُبهر. الطبقة الثانية تُحصّن. وبين الإبهار والتحصين يقع المؤمن في شَرَك محكم.

قف هنا لحظة.

الوحي أي وحي حقيقي لا يخشى الاختبار. القرآن نفسه يدعو إلى التدبر، ويُفتح على كل عقل. الإمام الصادق في ما نقله الكليني لا يأمر شيعته بالتسليم الأعمى؛ يقول: اعرضوا حديثنا على كتاب الله، فما وافقه فخذوه وما خالفه فاضربوا به عرض الجدار. هذا منهج. هذا ثقة. هذا وحي لا يختبئ.

أما الوحي الذي يحتاج إلى غرفة مغلقة وشاهد واحد وضمانة الصمت فهذا ليس وحياً. هذا شيك مفتوح مسحوب على حساب الله، يملؤه المُدّعي بما شاء، ويصرفه متى أراد.

إذا كان هذا وحياً، فما الفرق بينه وبين الهوى؟

في جلسة لا أعرف متى انعقدت بالضبط، ولا أريد أن أدّعي أنني كنت فيها، وصل "الوحي" مُبشراً رجلين.

لم يكونا من صغار الأتباع. لم يكونا ممن يُستعان بهم في الأعمال الصغيرة. كانا من يحمل المشروع مالياً. العمود الفقري الاقتصادي لكل هذا الصرح. ووصلهما الوحي في توقيت لم يكن فيه المشروع في أمسّ الحاجة إلى شيء قدر حاجته إلى استمرار تدفق المال.

الوحي قال: هذان مؤمنان صادقان، باركهما الله، وأثنى عليهما الله.

توقف.

لا تتجاوز هذه الجملة بسرعة.

الله في هذا الوحي اختار من بين مليارات البشر أن يُثني على رجلين بعينهما. لم يكونا صحابة نبي، ولا علماء أمة، ولا شهداء ساحات. كانا داعمَي مشروع. والوحي جاء حين كان المشروع يحتاجهما أن يبقيا، لا أن يتزعزعا.

السؤال بسيط وقاسٍ: هل يتبع وحي الله المال، أم يتبع المال وحي الله؟

في كل الأنبياء الذين أعرفهم، والأئمة الذين أعرفهم، كان المال يتبع الحق. وليس بغريب الحديث الذي يقول إن الجنة لتشتاق إلى عمار والمقداد وسلمان وأبي ذر وليس فيهم غني واحد!

وقد قال الله عزوجل في كتابه في سورة سبأ: "وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من ءامن وعمل صالحا"!

وحسب عمقي في المشروع فقد سمعت حديثا: انتبهوا من فلان فإن فيه الهام! يعني اسمعوا كلامه وصدقوه فإن المهدي قد شهد له بالإيمان بإلهام من الله!

في مشروع التهامي، كان الترتيب دائماً واحداً: تأتي الحاجة المالية أولاً، ثم يأتي الوحي يُرسّخها.

لا أملك عنا إلا أن أقول كما قال الله "يا داوود إن جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله!

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة!

من غادر، عُوقب

ليس بالإقصاء الاجتماعي وحده، ولا بالتشهير الذي يمارسه كل تنظيم متضرر من الخروج عليه. عُوقب بشيء أثقل من هذا: عُوقب بالوحي.

الذين شكّوا في الادعاء المهدوي، أو سألوا أسئلة لا تحتمل إجابة مريحة، أو قرروا أن هذا المشروع ليس مشروعهم هؤلاء لم يختلفوا فقط. نزل فيهم "الوحي" يقول: نياتهم فاسدة، قلوبهم خالية من الله، ومآلهم النار.

النار. نعم هناك أحد المشايخ كان في المشروع ثم غادره لوجهة نظر بدت له وبعد أن بدأ فلم الإلهامات كان له نصيب واضح فقد جاء إلهام يبشره بأنه عميل جاسوس من أهل النار وهو شيخ معروف في الشام!

لم يقال "أخطأ هذا الإنسان"، ولا "ضلّ طريقه"، ولا حتى "خسر". بل بُشِّر بالنار بالمصير الأبدي فتخيل كيف يتم اللعب بالوحي!.

هذه ليست صدفة أسلوبية. هذه بنية. الوحي الذي يُكافئ المؤمن يمكن الاستغناء عنه إذا كان المؤمن راسخاً بما يكفي. لكن الوحي الذي يجعل الشك طريقاً إلى جهنم هذا الوحي لا يمكن الاستغناء عنه أبداً، لأنه يُحوّل

الخروج من مستحيل نفسي إلى مستحيل ديني. قد يقال لا تخرج! لأنك إن خرجت فقدت أصدقاءك وعائلتك وانتماءك هذا ثقيل لكنه محتمل. ولكن أن يقال: لا تخرج لأنك إن خرجت دخلت النار هذا ما يُشلّ الأرجل.

أخطر وظيفة للوحي المصنوع ليست أنه يُقنع. وظيفته أنه يسجن. يبني حول الأتباع جداراً غير مرئي، اسمه الخوف من الله، لكنه في الحقيقة خوف من رجل.

نماذج من وحي لم يتحقق!

دعني أعطيك بعض الإلهامات. لا تعليق مسبق. فقط الوقائع، ثم ما جرى لها.

الإلهام الأول

قال التهامي: أنصار الله لن يحققوا نصراً عظيماً.

ثم فتح أنصار الله محافظة الجوف كاملة، في عملية كانت من أبرز انتصاراتهم العسكرية الميدانية في سنوات الحرب.

ماذا قال الأتباع؟ قالوا: "هو قصد نصراً خارجياً."

توقف مرة أخرى.

ما النصر الخارجي؟ وما هو النصر الداخلي؟ ومتى حُدّدت هذه التفرقة قبل الحدث؟ لم تُحدّد قط. التمييز بين الخارجي والداخلي لم يظهر في الوحي الأصلي ظهر بعد فشل الوحي، أداةً لإنقاذه. النبوءة لم تُكذّب، لأن النبوءة أُفرّغت من معناها قبل أن يُعلَن الحكم عليها. صارت تعني كل شيء، وهو ما يساوي أنها لا تعني شيئاً.

الإلهام الثاني

أمر الوحي شباباً بالهجرة إلى المملكة العربية السعودية لأداء البيعة.

قال المنسقون في الميدان: الظروف غير مهيأة، والمسار مسدود، والأمر غير ممكن عملياً.

الحل: طلب نواب المهدي الذين سمعوا الإلهام إرسال المهاجرين إلى صعدة ورجوعهم حتى لو لم يدخلوا في محاولة حثيثة ليتحقق الإلهام.

صعدة بدلاً من مكة. محافظة يمنية بدلاً من المقصد المُعلَن. والتبرير: المهم أن تحدث الهجرة، المهم أن يتحرك الناس، المهم ألا تنهار النبوءة أمام الجميع.

المهم ألا تنهار النبوءة.

هذه الجملة وحدها تكشف كل شيء. لم يكن الهمّ تحقيق الأمر الإلهي بل كان الهمّ صون الصورة. الهجرة ليست غاية، هي استعارة يجب إبقاؤها حية بأي ثمن، ولو كان الثمن أن تتحول من رحلة إلى مكة إلى رحلة إلى محافظة أخرى! هؤلاء الأشخاص كما عرفتهم مستعدون لهدم قواعد العقل والمنطق بل حتى السنن الكونية من أجل تطبيق فرضيتهم وتحقيق مهدية التهامي.

الإلهام الثالث

قال التهامي: "سأكون لعبد الملك الحوثي كما كان يوسف للعزيز."

ادعاء ضخم. تموضع إلهي في قلب السلطة. الإمام يحتاجه كما احتاج عزيز مصر يوسف.

ثم سجنه أنصار الله.

ثم اختفى.

وحين سئل الأتباع: كيف يُسجَن من له وحي يضمن مكانته ويصونه؟ لم يأتِ جواب. ليس لأنهم خذلوه في لحظة الأزمة، بل لأنه لا جواب. الصمت هنا ليس تهرباً هو الاعتراف الوحيد الممكن في غياب اعتراف صريح.

الإلهام الرابع

"حرب عبوس دبور" وحي متداول، واسع الانتشار في أوساط الأتباع ومنتشر في وسائل التواصل ساعة نشر الكتاب، جرب فقط كتابة "الهام حرب عبوس دبور التهامي" في محرك جوجل وستجد النتائج فورا.

أقول ببساطة ما أراه: هذا تحليل سياسي يرتدي عباءة النبوة. فيه معرفة بخرائط القوى، ونبض بالأحداث، وقراءة للمشهد لكن ليس فيه ما يأتي من حيث لا يعلم الإنسان ليس فيه علم الغيب. لم يتحقق بأي معنى جوهري. والذين ينتظرون تحققه ما زالوا ينتظرون، يُعيدون تأويله كل مرة يمر بها حدث معين يشير لقرب تحققه حسب فهمهم دون أن يقع الموعود وأعرف مؤمنا بمشروع التهامي يراسلني كل فترة لِيُلبس الإلهام ثوبا جديدا لعله يتحقق فيفشل في كل مرة فأصبح يتبحر في اللغة العربية وفي مقاصد الإلهام وفي خفايا وحي التهامي ليقربه من الواقع و لا نتيجة مشرفة ابدا الإلهام طلع كذب صراح والواقع صرخ بكذبه لمن كان له سمع!.

الإلهام الخامس ولعله الأغرب

أعلن نواب التهامي أنه هاجر خارج اليمن.

ثم أعلنوا أنه سُجن في اليمن، من قِبل أنصار الله بعد هجرته!

حين ووجهوا بالتناقض الجغرافي الصريح: كيف يكون مهاجراً في المملكة العربية السعودية ثم بعد فترة وجيزة في السجن اليمني ؟ جاء الجواب: "هاجر، ثم عاد، وفي عودته كسر حدود سايكس بيكو التي طالما دعا أتباعه لكسرها وعدم الإعتراف بها"

هذا التنقل أصبح فعلاً كونياً يشق الجغرافيا السياسية التي رسمها الاستعمار قبل مئة عام.

لم يكذب عليهم التهامي هذه المرة. كذبوا هم. تولّدت الكذبة تلقائياً، دون تنسيق، دون أمر، من حاجتهم العميقة إلى أن يظل الأسطورة حية. المريد حين يصل إلى هذه النقطة حين يُنتج الكذب من تلقاء نفسه دفاعاً عن الشيخ يكون قد تجاوز مرحلة الاتباع ودخل مرحلة الاستحواذ. المشروع لم يعد فيه، هو صار فيه.

ومما يحسن ذكره أني كنت أناقش أحد المشايخ ذوي الانتماء للمذهب الإثني عشري، ناقشته في مهدية التهامي فكان جاهدا يحاول إثباتها وبعد عرضي لحججي وحصاره بالمنطق والعقل رأيت منه عجبا! الرجل حرفيا كان مستعدا لهدم المذهب الإثني عشري وقلبه رأسا على عقب وكان مستعدا للتشكيك في الهامات وعلومهم وآثارهم الأئمة الأحد عشر فقط ليثبت مهدية التهامي!!

ومن العجب أن هؤلاء المؤمنين بمهدية التهامي يدعون أنهم عرفوا مهدية التهامي من خلال الآثار!

فلو سألتهم كيف عرفتم أن حسن التهامي هو المهدي؟ سيجيبون بسبب الآثار المنطبقة عليه!

وإذا سألتهم من جمع تلك الآثار؟ فسيقولون: حسن التهامي! هل فهمتم شيئاً؟

ومع ظهور آثار جديدة لا تنطبق على حسن التهامي ومع ظهور مخالفات للقرآن والسنن تراهم مستعدين لهدم القرآن والسنن بل وحتى الآثار التي كانت سببا في إيمانهم بمهدية التهامي فتنبه وتأمل أيها القارئ الكريم هذا الجنون!

مقارنة بين إلهامات الرجل وبين واقع معاش وتجربة حية

رأت زوجتي رؤيا بعد زواجي بفترة وجيزة، رأت أنها نامت ثم صحت ورأت في يدي ولدا وأني أخبرتها في المنام ان اسمه الليث.

ثلاثة تفاصيل. جاء الولد ذكراً، واسمه الليث، وكانت الولادة قيصرية. لا لبس ولا تأويل ولا إعادة قراءة بعد الحدث. وفعلا بعد فترة وجيزة حملت وجاء المولود بعملية قيصرية وسميناه الليث!

حين اتصلت بالتهامي مبشرا له أنه جاءني ولد وسميته الليث طلب مني أن أسميه شعيب وهو ما رفضته تماما، وأصرّ التهامي على تسمية الولد شعيباً.

شعيب ليس اسماً عشوائياً. "شعيب بن صالح" اسم يتردد في الروايات المهدوية باعتباره الصاحب الأقرب للمهدي وتعود بنا الذكريات للقديم حيث أثناء مطارتنا من السلطات انتقلنا لبيت آخر في حي آخر فكتمانا لشخصيتي أمنيا طلب مني أن أسمي نفسي بكنية فقلت له: أبو مصعب فقال لا، لدينا رجل في المشروع بهذا الاسم فقلت له ليس عندي خيار ولا أعرف فقال نسميك أبو شعيب، واترك أبو وخليها شعيب بحيث إذا أحد سألك أيش اسمك قول له شعيب ولا تذكر اسم إدريس بتاتا!

الشاهد أنه حين طلب أن أسمي ولدي شعيب كان بسبب حسد من بعض الأنصار الذين احتجوا كيف اخترت فلان شعيب من دوننا! فاحتج أو قل برر لهم أنه اشترط علي تسمية ولدي باسم شعيب وهو شرط لا أذكره حقيقة! المهم مع رفضي أصر هو وأصررت أنا وكبرت المشكلة فهدد بسحب الاسم مني! فتفكر في هذه المهزلة! طبعا تعاملت معه بكل برود! ثم أحببت أن أكلمه بمنطقه وهي عادتي في الحديث مع الناس، فأخبرته أن هذا الشيء اختيار إلهي ولا يستطيع أن يتدخل فيه وقلت له أنا معروف عند الناس باسم شعيب ولن أغير هذا الاسم والله يفعل ما يريد، غضب جدا وحاول وكان يلمح أني إنما أطيع امرأتي في ذلك وقام مهددا لأصهاري ضاغطا علينا لتغيير الاسم ففشل، المهم في نهاية الأمر بعد أن استنفذ حججه ذهبت إليه بعد الاستخارة وأخبرته أني أحب اسم الليث وأكره اسم شعيب ولكني سأغيره ليس من أجله هو بل من أجل الله وهدأت الأمور بعد أن كشفت عن جوانب مثيرة! وقال معلقا على كلامي نعم أطعني وأنا مرجعيتكم!

مما يجدر الإشارة إليها في هذه الحادثة وأخبرني هو بنفسه أنه كان هناك أنصار استغلوا فترة الصراع على التسمية بيني وبين التهامي فعرض أحدهم وقال أنا سأجامع امرأتي الليلة وآتي بولد ونسميه شعيب وقال آخر وهو أحد أصحاب الفصل ومفتي حركة التهامي وأمين إلهاماته قال: معي أخي اسمه صالح وله ولدان، أيش رأيك نغير اسم واحد منهم شعيب لتنطبق النبوءة!

المهم أخبرني بهذا كله وأنهم يحسدونني فتعجبت من الخبر!

ومن الطريف أنه بعدها بفترة وجيزة كان هناك أنصاري لديه بنت اسمها جود فمحاولة للتسلق والصعود طلب من التهامي أن يعطيه اسم الجواد وهو أحد أئمة ال بيت رسول الله الأحد عشر، طبعا التأصيل القانوني لطلب الاسم كان كالتالي: الرجل معه بنت اسمها جود، فيكنى أبو جود، فتحذف أبو كما حذفت في أبي شعيب فكان شعيبا فيصير أبو جود، جود، وبعد ذلك يضاف لها ال التعريف ولن نبخل عليها بألف بعد الواو فصار الجواد وتمت الموافقة على الطلب رسميا وتحدث التهامي أمام أنصاره في دورة النفير بين الركن والمقام بقبول الطلب واعتمده للتداول بأثر فوري! ونحن شهود ولله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم من هذا الحال المضحك المبكي!

ومن العجيب أنه في فترة الصراع على الاسم قال إن لم تُطيعوا في التسمية يقصد تسمية ابني شعيباً فهذا ابتلاء لكم، كما كان النهر ابتلاءً لجنود طالوت فالرجل كان دوما يلبس نفسه عباءة التقديس وأن أموره إنما هي انعكاس لوحي الله إليه وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى!

طالوت قصة اختبار مذكورة في القرآن الكريم في سورة البقرة. تقول الآية أنه من شرب من النهر خسر. ومن امتنع ثبت. التلميح واضح: طاعة التهامي في تسمية ابني هي الامتناع من النهر. والرفض هو الشرب. أطعني في اسم طفلك، وإلا فأنت ممن فشلوا الاختبار الإلهي.

نستمر في قصة تسمية اولادي وننتقل إلى وحي آخر من الرؤى الصالحة التي تحققت فرأيت رؤيا بنفسي وأنا في مكة وكانت زوجتي حاملا في الشهر الأول فسمعت صوتا يقول لي: هو غيث غيث لكم من الله هو غيث غيث لكم من الله وقمت وعيني تدمع فأخبرت زوجتي وقلت لها رأيت كذا وكذا وأخبرتها بالرؤيا ثم قلت لها اذا كان ما في بطنك ذكرا وعرفنا بعد أشهر أنه ذكر فهذه رؤيا من الله وسنسميه غيث فكان كذلك ورزقنا الله بولد وسميته غيثاً

فكانت نبوءاتنا عن طريق الرؤى الصالحة تتحقق ونبوءاته تكذب وبعضها مخبأة عند الحسامي لا ندري بحالها ولكن كما قيل الظاهر يدل على الباطن فكما كذبت الهاماته التي نشرها فالمخبأة ليست بأحسن حال منها!.

ثم رأت زوجتي بعد فترة أنها ستنجب بنتا وأننا سنسميها جنة وأنها جاءت هي واسمها في رؤيا طويلة ومبشرة وكان كما قالت ففعلا لقد حملت بعدها بفترة فاستبشرنا بجنة وكانت نتيجة الفحص تشير إلى أنها أنثى ونحن الان في شهر مايو **2026** تفصلنا تسعة أيام تزيد أو تنقص لنرى جنة ونسميها فعلا كما قالت النبوءة في الرؤيا بحول الله!

ثلاث رؤى. ثلاثة تحققات. الاسم والجنس، بلا واسطة، بلا سمسار، بلا مقابل. لم يطلب منا أحد طاعة، ولم يُهدّدنا أحد بالفشل في الاختبار، ولم يأتنا أحد بعد الولادة يقول ألا ترى؟ صدق وحيي

جاءت الرؤى، وجاء تحققها، وذهبت.

هكذا يكون الصادق: يأتي، يحدث، يمضي. لا يطالب.

وحي التهامي: يُعاد تأويله كلما اصطدم بالواقع. يُنقذه أتباعه بكذب لم يأمرهم به. يُخفق ثم يُتنكّر لإخفاقه.

رؤى أسرتي: تتحقق بهدوء، وتمضي دون أن تطلب شيئاً.

الفرق ليس في النوع فقط. الفرق في الجوهر.

"ستتقطع القلوب في محبته"

كان من الهامات التهامي أن القلوب ستتقطع في محبته، انظر إلى هذا التنصيب للمشاعر.

أخبر أتباعه أن قلوباً عبر الأمة ستتوجع محبةً له. وكان يسمعنا تراسل بعض الأنصار معه ويسمعنا أصواتهم وهم يبكون فيقول لنا بخشوع انظروا كيف يحبونني الناس وأنتم.... كأنه يقول: متى ستتقطع قلوبكم على محبتي!

المحبة لا تُطلب بهذا الشكل ولا تُستجدى، المحبة يزرعها الله في قلوب الناس ويُوفق المحبوب لخصال الخير التي ليس لها مثيل ولا شبيه!

الوجع الذي لا يُفسّر، الشوق الذي لا يُعلَّل، الدمعة التي تنزل دون سبب واضح حين يُذكر اسمه كل هذا قُدِّم على أنه علامة من الله، دليل على صدق الادعاء المهدوي أو قل مسايرة موجة الذين يقولون إنه هو المهدي بشكل ظاهر مع الاحتفاظ بموقف أنه ليس هو المهدي وانتقاد بعض من يشخصونه بالمهدية بينما أفعاله تقول غير ذلك بشكل صارخ وواضح!

النتيجة: من أحسّ بهذا الوجع في محبة الشيخ حسن آمن أنه اصطفاء. من لم يُحسّ شعر بقصور روحي وأن الله لم يرفعه لمقام المحبين العارفين!

هذه آلية محكمة. لا تحتاج إلى معجزة خارجية يمكن دحضها. الدليل داخلك أنت. الشعور نفسه هو الحجة، والحجة لا يملكها إلا من يشعر بها. والشك في الشعور يعني الشك في نفسك، لا فيه.

لا يوجد اختبار أصعب من اختبار مشاعرك الخاصة. وحين يجعل مُدّعٍ من مشاعرك ساحة إثباته، يكون قد دخل المكان الأكثر حمايةً في داخلك، والأصعب تطهيراً.

هذا ليس وحياً ولا نبوءة. هذا هندسة نفسية.

إذا قارننا هذا بمعجزات محمد صلى الله عليه واله وسلم والأنبياء وبمعجزات ال محمد لم يرقى ما فعله التهامي أبدا ليقترب من أولئك القامات الذين يحاول الاصطفاف معهم والوقوف في طابورهم! بل لا ترقى ما يسمى بكراماته أو خوارقه لمعجزات العارفين من الصوفية مثلا.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أنه كان يسعى أن يكون هو الوكيل الحصري للوحي الإلهي في زمننا هذا وبين أتباعه ومحبيه وفيما تقدم ما يشير إلى ما أحاول بيانه الآن..

قصة العبد الصالح

قصة العبد الصالح معروفة في أدبيات حركة أنصار المهدي وهي قصة أبطالها أم مصرية وابنتها والشيخ أبو محمد المدني، طبعا فحواها أن هذه البنت كان يأتيها وحي أو إلهام – كما قيل – وقد أخذت حيزاً من النبوءات ومن اهتمام المهتمين ووقع في هذا الفخ بعض مشايخ الحركة مثل أبو داوود الحسامي الذي تنصل لاحقا من الأمر تاركا المدني في فخ التهمة واحتيال النبوءات! ، صبر حسن التهامي دهرا وهو يعلم بالأمر ثم لم يلبث أن انتفض في وجه المدني والذي بدوره لم يكن سهل المراس فقد واجه التهامي وقال له هل الإلهامات عليك حصرا أو في ما معنى هذا الكلام فخاف التهامي وعرف الخطر القادم وقال ما معناه: أيشكك الآن في المهدي وهو كان يقول به ويؤمن به؟ مثل الذي يقول الآن ما عاد هو مؤمن بي أني انا المهدي! ! مما يدل على أنه كان يتناغم مع من يقولون أنه هو المهدي ويتفاعل معهم بردود فعل مدروسة بدون أن يورط نفسه بالادعاء الصريح لأنه يعقل أن الادعاء الصريح تكاليفه باهظه وسيأتيه أمثال أبو جهل وأبو لهب الذين لن يرضوا إلا بعظيم المعجزات وإلا فيفضحون أكاذيبه في سوق عكاظ وسيتناقلها العرب في ربوع الجزيرة.

كان يدري أنه ليس بأهل لتلك المعجزات ولكنه كما يقال بلهجتنا اليمنية كان يساير الوضع وحاول أن يكون المهدي ولكن الواقع يحكم الواقع والسنن الكونية لا تتناغم إلا مع الصادقين المؤيدين من الله بشكل مباشر وواضح! !

المهم كان يسأل عن أحوال البنت وكيف يأتيها الالهام فقيل له يأتيها سماعا فقال السماع في الأذن هو من الشيطان! ولعله قال هذا الكلام بناء على خبرته في علوم اللاهوت والأرواح أو من بعض خيالاته...

المهم بعد فترة أخبرني أحد المقربين من السيد حسن أنه سأله كيف يأتيك الإلهام فقال حسن التهامي: أنه يأتيه سماعا في الأذن! وهذا باعتراف حسن التهامي نفسه! فوقع في الحفرة التي حفرها للبنت المصرية، طبعا أنا انقل الحقائق كما وقعت وكما أجاب هو أما في الواقع وحسب قناعاتي الدينية فأنا حسب فهمي وعلمي أثبت الالهام صوتا في الأذن ونكتا في القلب بشروطه.

المهم قال المدني: المشورة الرئيسية هي الحكم بيني وبينك يا تهامي وفعلا حضر صنعاء ووقعت ضيافة طيبة وأكلنا لحم وكانت عزومه طيبة واتفقنا واصطلح الشيخان ومضى المشروع في سبيله كما كان!

هل ترى معي أيها القارئ شيئا غريبا في هذا كله!

ذات مرة تحدث معه شخص، مباشرة

قال هذا الرجل للتهامي أخبرني بسر!

فقال التهامي: أنا لستُ المهدي وأعرف من هو المهدي.

لم يُسمِّه.

هذا الاعتراف لو صحّ، ولا سبب لافتراض كذبه إذ لا مصلحة للراوي في اختراعه هذا الاعتراف يفتح أمامك بابين لا ثالث لهما.

الباب الأول: كان يعلم من البداية. كان يعلم أنه ليس المهدي حين بنى المنظومة المهدوية. حين جمع الأتباع حوله بهذا العنوان. حين أصدر الوحي الذي يُزكّي الداعمين ويُدين الشاكّين. إن كان يعلم، فالاسم الأدق لما جرى ليس "مشروعاً دينياً أخطأ" بل احتيال مدروس ومُنفَّذ باسم الله.

الباب الثاني: كان يُؤمن، ثم توقّف. آمن بنفسه يوماً ولعل هذا أكثر رحمةً على الفهم ثم انتهى الإيمان الداخلي، لكن المشروع لم ينتهِ. لأن المشروع لم يعد ملكه. صار ملك من بنوا حياتهم حوله، وضخّوا فيه الولاء والمال والعمر، ومن لا يستطيعون تحمّل انهياره دون أن ينهاروا هم معه. في هذا الباب، هو ليس محتالاً بالكامل هو سجين مشروع كان يؤمن به، ثم أفلت منه قبل أن يفلت من أتباعه.

فماذا كانوا يعبدون؟

لم يكونوا يعبدون الله لأن وحي الله لا يُزكّي من يدفع الفاتورة ويعطيه صك غفران، ولا يُهدّد من يشك بالنار، ولا يحتاج إلى أتباع يُعيدون تأويله كلما اصطدم بالواقع.

وليس المهدي لأن صاحب المشروع نفسه قال في لحظة صفاء أو إرهاق أو ندامة: أنا لست المهدي.

كانوا يعبدون المشروع.

والمشروع حين تُزيل عنه ثياب الدين وتقف أمام هيكله العاري مشروع عائلي. له رأس، وله ورثة، وله حسابات، وله حاجة دائمة إلى وقود بشري يحترق ليبقى الضوء.

هذا ليس حكماً صادراً من بُعد. هذا ما رأيته عن قرب. وما فعله بأسرتي حين حاول أن يُدخل ابني في خريطته الكونية باسم اختاره هو، لا باسم أعطاه الله.

الوحي الحقيقي لا يطلب. يأتي ويمضي، ويترك أثره دون أن يُطالبك بطاعة في المقابل.

والوحي المصنوع لا يكتفي بأن يُصدّق يطالب بأن تُعيد تشكيل حياتك على مقاسه. أسماء أطفالك. ولاء أفكارك. استئذانه قبل أن تشكّ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّن افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾

الآية لم تسأل من هو أكثر ظلماً من بين الظالمين. سألت: من هو أظلم الناس على الإطلاق. والجواب: الذي يفتري على الله، أو يدّعي وحياً لم ينزل عليه.

ليس الأظلم من قتل. ليس من سرق. ليس من كذب على البشر.

الأظلم: من كذب على الله .لأن الكذب على الله لا يخدع إنساناً واحداً يخدع الإنسان في علاقته بربه. يُفسد الشيء الوحيد الذي كان يملكه فعلاً: صلته بالحقيقة الأولى.

الفصل الثالث

البداء حين يسقط المرشح

العلامات التي انطبقت على حسن التهامي

لست هنا لأكذب.

مَن يعرف ما روي في أوصاف المهدي عليه السلام ويرى ما رآه مَن اقترب من محمد عبده، يجد توافقًا لا يمكن تجاهله باستهانة. اسمه محمد. وأبوه يحمل اسمًا يحتمل التأويل فاسم أبيه هو "عبده". لونه القمحي المائل توافق الآثار التي تقول أنه آدم أي أسمر مع وجود روايات تذكر أوصافا ولون بشرة آخر! جبهته الفسيحة الواضحة توافق صفة المهدي "أجلى الجبهة". ثناياه اللتان يلمحهما كل من حدّثه تشابه الصفة التي تقول أفرق الثنايا. مولده في مكة المكرمة. وأصله من قرية "كرعة" التي وردت في روايات من مصادر الفريقين السني والشيعي وكذلك أن فيه علامة مثل ورقة الآس موجودة في بطنه وكذلك الشامات التي في جسده رأيت منها واحدة في ظهره وكذلك كان رجلا حسن الخلق ظاهرا لمن عرفه، بالطبع مع علامات استفهام قوية في بعض الحوادث الخفية والتي تستدعي نظرا وفكرا وتحقيقا خاصة إذا أردنا وضعه في ميزان المهدوية.

هذه حقيقة. لن أتظاهر بأنها ليست كذلك.

ثم يسألني القارئ: وماذا بعد؟

وهذا هو السؤال بالضبط.

العلامات أوصاف، لا شهادات. هي مرشّحات، لا تعيينات. الدنيا مليئة برجال اسمائهم محمدية، ولدوا في مكة، وفي وجوههم فسحة الجبهة وفرجة الثنيتين. العلامة تقول: انظر هنا. لا تقول: توقّف هنا. وبين النظر والتوقف مسافةٌ يملؤها العقل والدين والتمحيص لا الانبهار ولا العجلة. فكون العلامات موجودة فيه تجعله مرشحا بارزا ليكون هو المهدي الموعود غير أن هناك علامات ومسؤوليات تتصل بالمهدي غير العلامات الجسدية لا بد من توافرها كذلك ليكون الامام الموعود المنتظر عند السنة والثاني عشر عند الشيعة وهذه العلامات العميقة كالمعاجز التي ترافقه وأن تكون أخلاقه كأخلاق محمد صلوات الله عليه وعلى آله ظاهراً وباطناً وأن لا يختلف

نهجه وعلمه عن نهج وعلم الأئمة الأحد عشر قبله فهي أشياء لا يمكن التساهل فيها ابدا خاصة في الفكر الشيعي!

فالعلامات لا تحسم المهدية بقدر ما تحسمه حياة الرجل وسيرته وما يصدر عنه في الخفاء قبل العلن.

وما صدر عنه تعلمه الصفحات السابقة، وتعلمه الصفحات الآتية.

البداء سنة الله في خلقه

هنا أقف طويلًا. لأن هذا هو الثقل اللاهوتي الذي يحمله هذا الفصل.

البداء في عقيدة أهل البيت ليس ضعفًا إلهيًا، ولا استدراكًا من من لم يعلم. البداء أعظم صور السيادة المطلقة فلله علم يسري عليه المحو والاثبات وعلم ثابت لا بداء فيه والشأن عميق جدا ولكن كتبسيط المفهوم للقارئ يكفي أن نستشهد بالآية التاسعة والثلاثين في سورة الرعد: "يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب!" والآيات التي بعدها عميقة جدا في البداء لمن أراد أن يفهم!. البداء إعلانٌ أن لوح المشيئة ليس صخرةً جامدة، بل نهرٌ يجري بأمره سبحانه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: "ما عُبد الله بشيء مثل البداء." وفي رواية أخرى: "مَن زعم أن الله لم يبدُ له في شيء فقد كفر" وفي رواية أخرى: لو علم الناس ما في البداء من الأجر لم يفتروا عن الحديث فيه!

هذا ليس قولًا هامشيًا في فقه الأقليات. هذا من صميم المنظومة العقدية لمن يدّعي أتباع محمد عبده الانتماء إليها فالشيخ حسن في كتابه المعروف "المهدي من عترتي" يذكر الأئمة الأحد عشر كما ذكرهم أصحاب المذهب ثم يخالفهم في ذكر الثاني عشر حيث لم يذكر الإمام الثاني عشر ومحا ذكره من كتابه! بل وزيادة على ذلك أضاف الشهيد زيد بن علي ولعله أضافه لهدف واضح لكل متأمل! هذا وقد وصى حسن التهامي في الدورات التربوية التي

كان يقيمها أوصى باتباع كل ما ثبت عن هؤلاء الأئمة واتباع طريقهم وهو ما قمت به حين تعمقت في المذهب الزيدي ثم الاثني عشري حتى وفقني الله في نهاية المطاف لزيارة المشاهد المقدسة كلها وكان من نتيجة زيارتي عودتي بهذا الموقف الذي ترونه وتقرأونه في هذه الكتاب.

والتاريخ يشهد

السيد محمد بن علي الهادي المعروف بأبي جعفر وكذلك بسبع الدجيل وله مقام مشهور في مدينة بلد وله كرامات ظاهرة وقد أشار إليه أبوه علي الهادي الإمام العاشر حسب المذهب الشيعي الإثني عشري، ثم مات محمد قبل أبيه. فوقع البَداء. وقد كنت زائراً في مشهده وقرأت كتابا رائعاً يحكي سيرته اسمه "سبع الدجيل" متوفر في الإنترنت لمن أراد تحميله! وسأرفقه في المصادر – وذكر في الكتاب وفي أدبيات الشيعة أن السيد محمد حدث فيه البداء لدرجة أن كثير من الشيعة يسلمون عليه: السلام عليك يا من بدا لله فيه أو نحو ذلك...

فلم يكن الإمام الحادي عشر وكان بدلا منه الإمام الحسن العسكري!. وكذلك فلو أن أتباعًا تعصّبوا لما صدر من الإشارة إليه قبل البداء وأصروا على كون السيد محمد هو الإمام لضلّوا. لكن مَن فهم العقيدة حقاً أذعن: الله غيّر. وليس لنا أن نعترض على تغييره.

طبعا أنا أقول ذلك ولا اقارن بين السيد محمد وبين حسن التهامي وإن قارنت فلا أختاره ندا لسبع الدجيل فكراماته معروفة للقاصي والداني ومقامه عند محمد وال محمد لا يجهله شيعي يحب دينه بل وحتى السنة يعرفونه كما سمعت ذلك في العراق ومشهور جدا باسم السيد محمد!

والمثال الآخر وليس الأخير هو إسماعيل بن جعفر الصادق أشار إليه أبوه إشاراتٍ فهمها كثيرون على أنه الخليفة بعد ابيه. ثم مات إسماعيل في حياة أبيه. بكى عليه الإمام الصادق وأشهد الشهود على موته لأن البداء حين يقع لا يكفي فيه الخبر، يستحق الإشهاد وكتابي هو من هذا الباب في حال كان حسن التهامي مهيأ ليكون المهدي!.

وأذكر أثرا قاله مولانا الصادق: أردت إسماعيل وأبى الله إلا موسى! لكن فرقةً في زمن الإمام الصادق أبت أن تُذعن

لأمر الله وقالت: لا يموت الإمام. وتشعّبت في ضلالها حتى صارت الإسماعيلية وهي فرقة معروفة موجودة حتى يومنا هذا منهم ناس معروفون في الجامع الكبير في صنعاء! . علامات إسماعيل كانت واضحة وأي علامة أوضح من إشارة الإمام إليه بالنص الصريح! . والإشارات إليه كانت. والبداء كان فوق ذلك جميعًا.

الآن، طبّق هذا على محمد عبده – حسن التهامي، فإذا كان البداء قد ابتلع من هو فوقه مقاما وقدراً فكيف به! ربما كان مُعدًّا ربما قد يكون كان مهيأ ليكون هو المهدي. ربما انطبقت عليه علامات بل انطبقت نعم. ربما كان في الكتاب اسمٌ وتشكيل. ثم وقع البداء لا لأن الله أخطأ، بل لأن الرجل تم اختباره فاختار لنفسه طريقا. أخطاؤه كلها، سلوكُه في أسرته – في طاعته لهم في الباطل –، وطريقةُ معاملته للمؤمنين من حوله، اهتمامه بأصحاب الأموال والوجاهات، ووحيه المصنوع المستعجل قبل آوانه والذي كان يكذبه الواقع! ، ومشروعُه الأسري الذي فصّله الفصل الأول والثاني هذا هو البداء وهو سبب وجيه ليصدر فيه البداء فينهي مشروعه وسعيه ومحاولاته! . المرشّح سقط تحت ثقل ما صار عليه. لم يُسقطه أحد، أسقطته نفسه. بل قد كان يكفي كذب إلهاماته في الواقع سببا في سقوطه قبل أن نبادره بسيف البداء فتأمل أيها القارئ اللبيب!

وهذه الحجة لا تهاجم الاعتقاد المهدوي بل تستعمله. تقول للقارئ الشيعي: عقيدتك بالذات هي التي تجيب على هذا الرجل. البداء نعمة الله على المؤمنين يحفظهم من أن يرسخوا في ضلال حين يتبيّن لهم أن المرشّح لم يكن هو. علاماته كانت. والبداء كان فوقها.

الكرات الذهبية

كان يطارد علامات المهدي كما يطارد لاعب كرة القدم الكرات الذهبية، لا يعيش الإمامة بل يجمع شاراتها وقطعها كأنه يجمع صورة شهادة تثبت كونه هو المهدي. الفرق بين من يسكن مقامًا ومن يتزيّن بأوصافه كالفرق بين من يسكن البيت ومن يُعلّق صورته بجوار بيت مهجور ويدّعي السكنى.

سعى إلى تمويل بحجم مئة ألف دولار لشراء مخطوطة من التوراة. لماذا؟ لأن في بعض الروايات أن المهدي يُخرج التوراة. كان هذا الشراء كما يظهر لتعبئة القائمة، قائمة أوصاف المهدي لوضع إشارة على بند من بنود السيرة المنتظرة. التوراة خانة. والمئة ألف ثمنُ إشارة أو علامة تضاف لرصيده المهدوي!

وكان يُسرّ حين يأتيه خيرٌ يوم الأحد. لماذا؟ لأنه كان يؤمن أن ليلة الأحد هي ليلة قيام القائم وليلة إصلاحه وقد أصل تأصيلا قويا في كون ليلة الإصلاح المذكورة في حديث يصلحه الله، هي ليلة متكررة لذلك كان ينتعش لتكرر الخير المرتبط بجميع جوانب حياته في تلك الليلة!. والأحد عنده ليس يومًا في الأسبوع، بل مرآةٌ يرى فيها وجهه المرتقب. وحين كان الأحد يُفضي خيرًا لي، أو لصاحبنا الثالث ناصر الأهدل، لا له كان الانزعاج يظهر. رجلٌ لا يتحمّل أن يُبارك الأحدُ أحدَ أتباعه بدلًا منه هل يكون فكره فكر إمام. أم هو منافس؟. وكان ينطق حينا فيقول لا ندري من المهدي أنتم أم من؟ كتعليق على ما يحصل لنا في يوم الأحد أحيانا!

وكانت هناك سياسة خاصة تظهر في توزيع الإلهامات فأكثر الداعمين الماليين كانت لهم نصيب من المحبة وبشرى من الله أنهم مؤمنون وأن الله يحبهم فطاروا فرحا بأن الله يتحدث إليهم على لسان المهدي حسن التهامي! الاقتصاد الإلهي في مشروعه كان يعمل بدقة مشبوهة لصالحه دائمًا. كأن السماء كانت تعرف جيّدًا من يُعيل المشروع ومن يهدّده.

قبل اختفائه مؤخرا بوقت قصير، جاء كما زعم الأمر بالهجرة والبيعة قبل أن تتحقق الشروط التي وضعها هو نفسه في بدايات دعوته. قال في أوّل الأمر: انتظروا. وقال: لن تكون البيعة إلا بعد أحداث تكون في الجزيرة العربية في المملكة العربية السعودية تحديدا! ثم تحرّكت الأيام، وامتد الزمان وطال الانتظار واحتاج المشروع وقودًا، فحدثت جلسة طارئة تم استدعاء الأعضاء البارزين لها وتم دراسة بعض الاختلافات التي حصلت في المملكة العربية السعودية ووصلت إليهم أخبار خاصة أنه حصل اعتراك بالأيدي بين أفراد وحراسات الأسرة الحاكمة فاستغلها المفتي المارق وقال هذا قتال ويجوز أن نسميه قتال واستدل بآية "وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا" ولعله جاء بحديث ان القتال بين الطائفتين المذكورتين في عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله حصل بالأيدي وبالسلاح كما ذكرت بعض الروايات.. فكان هذا انقلابا على الدستور الذي وضعه التهامي لناخبيه قبل تصدره المشهد، ولكن بذكائه وظفه وكأنه تعديل دستوري بموافقة أغلبية الأعضاء في البرلمان المهدوي أو بصمتهم إن صح التعبير!

كان الهدف من هذا كله ما فحواه، لا أحد يدوخنا بعد الان ويقول ننتظر حديث يقتتل عند كنزكم ثلاثة.... ثم يخرج المهدي... فالقتال قد تم وحصل!!! فتحرّكت الشروط أيضًا. المشروع كان يحتاج زخماً أكثر مما يحتاج لاهوتًا.

وفي تطور لاحق قال حسن التهامي من أراد أن ينتظر العلامات فليجلس في صنعاء في انقلاب ظاهر ولافت وخطير على الشروط التي وضعها بنفسه للتحرك المهدوي والبيعة في مكة بين الركن والمقام!

النواب الأربعة والأشهر الحرم

عيّن السيد حسن التهامي أربعةً من نوّابه لإدارة المشروع بعد غيابه وإن كنت من المعارضين المشككين لثبوت هذا التعيين حيث أنه لم يبلغني بذلك ولكن مزاعمهم تواترت فيما بينهم فهي حجة عليهم. وكان بعض هؤلاء الأربعة يستحضرون حديث السفراء الأربعة النواب الحقيقيين – مع إن فريقا من الشيعة يتهمهم أنهم كانوا عملاء للعباسيين! – الذين كانوا حلقة وصل بين الإمام المهدي وشيعته في الغيبة الصغرى، كل هذا ليلبسوا أنفسهم من هيبة سفراء المهدي ما يصنع لهم حصانةً من السؤال.

حين جادلتُهم بالحجج وقرعتهم بها قرعا فحاروا ولم يجدوا لها جوابا وكانوا كلما جاؤو بجواب كان ردي عليهم أوضح من عين الشمس وردودهم أوهى من خيوط بيت العنكبوت، فعجزوا عن الردّ. لم تكن حججي معوجّة، ولم يكن السؤال غامضًا. كانت المسألة واضحة، والسكوت عنها فضيحة. فماذا فعلوا؟

قالوا: نحن كالأشهر الحرم. ثلاثةٌ في صنعاء وواحد في المملكة، كالأشهر الثلاثة المتواليات والواحد المنفرد. يقصدون تتابع ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثم رجب بعيد عنهم بفارق واضح! ثم قالوا بأن التعدّي على الأشهر الحرم محرّم.

فمعنى كلام مفتيهم المارق، لا تجادلنا فنحن حرمة النيل منا كحرمة الأشهر الحرم!

انظر ما جرى: عجزوا عن الجواب، فصاروا مقدّسين. العجز عن الردّ لم يثبت قصورهم بل أثبت ارتفاعهم فوق مستوى النقاش. المقدّس لا يُساءل. والأشهر الحرم لا تُعترض. وحين يفشل المنطق، تأتي القداسة لتسدّ الثغرة.

هذه هي الصناعة الحقيقية في هذا المشروع: لا يُصنع فيه الإمام فقط، بل تُصنع فيه الحصانات. تُصنع الأوصياء.

تُصنع المراتب. كلٌ منها درعٌ أمام سؤال.

واصلتُ الضغط. وهربوا. في كل مرة كما كانت عادتهم!

أنصار الله يحتجون على أحد الأنصار!

بعد أن كُذّبت إحدى الهامات التهامي كذبًا صريحاً أمام الناس، جاء أنصار الله إلى بيت أحد أتباعه وسألوه. الوحي وعد بما لم يتحقق! والوعد لم يكن صادقا! كان نص الالهام أو محتواه أن أنصار الله في تلك الفترة لن يحصدوا مزيدا من الانتصارات العسكرية، فكذبه الله في الواقع فانتصر انصار الله وسيطروا على محافظة الجوف – ولعلها كانت رسالة من الله للتهامي أن توقف! – وسيطروا على ألوية في السعودية، فكان لسان حال أنصار الله أن قالوا لصاحب التهامي هناك أحد خيارين لا ثالث لهما: إما أنكم كذابون نقلتم كذبا عن صاحبكم وإما أن صاحبكم كذاب!! فهل كانت إشارة من الله للتهامي ومع ذلك كابر ولم يعتبر بتكذيب الله له فكيف يكذب الله المهدي ويعطيه أخبارا لا تتحقق!!.

هذه تكلفة الوحي المصنوع المزيف. لا تقتصر على خداع المؤمن بل تُعرّضه للخطر. الكذب اللاهوتي لا يبقى في فضاء المقدّس؛ يتسرّب إلى الواقع، ويُنتج تبعاتٍ أثقل مما تحتمله أكتاف أصحابه.

ما أعطاه المشروع

لن أمثل جانبا واحدا فقط في هذه القصة!

المشروع أعطى بعض الإيجابيات، وكما قال الإمام علي فإن الباطل لو صفا لاستبان للناس فتركوه ولكنه يخلط بالحق ليشبه على الناس، فقال أمير المؤمنين واصفاً ذلك: ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث!

كثيرٌ من أبناء المذهب السني الذين لم يفكّروا يومًا في المهدي إلا كقصة في آخر الزمان دخلوا من باب هذا الرجل إلى مفهوم كانوا قد أهملوه أو رفضوه وكانوا مقتنعين بالتهيئة لظهور المهدي. صحيح أن البوابة كانت غير واضحة، لكن ما دخلوا إليه لم يكن كله زيفاً. الانتباه إلى الانتظار، الإحساس بأن التاريخ لم ينتهِ، الشعور بأن ثمة معنى في الحياة ينتظر الإجابة هذه بذورٌ حقيقية زرعها مشروعٌ له عيوبه ومميزاته، وبعضها أينع في نفوس لم تعرف من قبل هذا النوع من الاشتياق.

وبعض المتابعين شهدوا صحوةً روحية حقيقية. ارتبطوا بالدين، بالصلاة، بالقرآن، بقيام الليل، بترك القات! بشعور الانتماء إلى شيء يتجاوز حدودهم. لا أستطيع أن أقول إن هذا لا يعني شيئًا لأن مصدره كان مخالفا. والمشروع خلق شبكات علاقات قوية. أوجد تضامنًا بين الأنصار ومصاهرات ونسب. فتح أبواب رزق بين أناس لم يكونوا ليلتقوا. بعض الأسر تحسّن حالها ماديًا لأنها دخلت هذه الدائرة.

ولا أنسى أن أذكر أن ولدي السيد حسن، عبد الله والقاسم تزوجا أختين وهما بنات أحد زعماء الفصل واسمه أبو بشير المهاجر، فلقبه أصحابه بأنه ذو النورين في إشارة لتشبيهه بعثمان بن عفان الذي تزوج بنتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تعليق عندي على هذا أكثر من بيان أن التهامي بنفسه كان يشنع على عثمان وعائشة في دروسه بسبب مواقفهم ضد محمد وآله فكيف تستخدمون هذا اللقب كمديح وعثمان صاحبكم يقول فيه ما قال!

فهل استوعب الأنصار دروس المهدي من عترتي أم أنهم يبحثون عن رفعة شأن ولو بغير ما يعتقدونه أنه حق أم أنهم في مرية من أمرهم فلا حقا فهموا ولا حقا أرادوا!

وكيف يجمعون بين الاستدلال بفضل عثمان وبين حديث السفراء الأربعة – وهو من المرويات الشيعية ومع ذلك فيه نظر – الذي استخدموه لتقوية موقف زعماء الفصل فإما أن تعترفوا بمصدر شيعي هو يخص السفراء فإن أخذتم به فيفترض أن تعرفوا جيدا ما هو موقف الشيعة من عثمان! وإما أن تأخذوا بفضل عثمان ذو النورين وتعرفوا موقف أنصار عثمان من الشيعة ومن سفراء مهديهم الهارب في السرداب وسفرائه الأربعة كما يزعمون!

فبأي حديث بعده يؤمنون!

ولأول مرة، شعر بعض الأنصار بل أكثرهم أنهم جزءٌ من شيء أعظم من يومياتهم الضيقة بعد ارتباطهم بمهدي آخر الزمان الخليفة العادل الأمين!

هذه حقائق. لا تُبرّئ المشروع. لا تُسوّغ الكذب ولا تُعوّض الأذى. لكنها تُفسّر لماذا دخل الناس ولماذا كان الخروج يبدو كفقدان الله لا مجرد فقدان رجل فهؤلاء كثير منهم دخل وهو يبحث عن الله والدين والرسول فوجدوا التهامي!

وأقوى شيء صنعه هذا المشروع هو أنه شد السنة نحو آل بيت رسول الله ففي دورات السيد حسن التهامي كانت تُشرح قصة الحسين وكيف قتله أتباع يزيد وكيف مات عطشا صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين وعلى جميع من قتل معه، كانت هذه الفاجعة تُحكى ويبكي هو ويتأثر الحاضرون..

في كتابه المهدي من عترتي شد الناس بوضوح نحو آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ذكر الأئمة الاثنا عشر وكان يقول للمنسقين من لم يقتنع بكتاب المهدي من عترتي فلا تأتوني به ليكون مشاركا في الدورات التربوية..

هذه حسنات تذكر وكما قال الله عزوجل في كتابه: "كونوا قوامين لله شهداء بالقسط.." وكما قال: "كونوا قوامين بالقسط شهداء لله"، وكما قال: "ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى!"

ولا أخفي عليكم أني وأنا أكتب هذه الكلمات وكذلك من شاركتهم رحلة هذا الكتاب من خواصي لهم حنين لهذا الرجل ويحسون بحرقة عليه في قلوبهم فنحن كلنا كنا نقول أنه المهدي ونجزم بذلك جزما لا شك فيه، ومع ذلك فهم يتفقون معي أن هذا المكتوب حق وواقع ومشهود على بعضه ويصدقونني فيما لم يشهدوه..

ولكن الحق أحق أن يتبع والله أولى أن يطاع فدرجة الإمامة في الدين ليست كرتا يصرف بلا رقيب ولا عتيد واذا صرفت لغير من يختاره الله فالكوارث دوما تكون أعظم من الخيرات وإن وجدت خيرات، فكما انتكست الأمة لتركها ولاية علي أمير المؤمنين بعد رسول الله فاختارت قرودا ليجلسوا على منبر رسول الله فذاقت الأمة ما ذاقت! بنفس القياس فلن نسمح لرجل مهما كان صلاحه أن يجلس على كرسي المهدية في قلوبنا مالم يأتينا ببرهانه إن كان من الصادقين! ولن نسمح للمعتاشين المستأكلين الناس بهذا الأمر أن يستمروا في أكل الحرام والسحت بوعود كاذبة جوفاء! وتمثيل مزيف لله رب العالمين!

الاعتراف الذي سبق

أعود إلى ما قاله في خاصّته: هو ليس المهدي. ولكنه يعرف مَن يكون المهدي.

اقرأ هذه الجملة الآن، بعد كل ما مررتَ به في هذا الفصل.

رجلٌ انطبقت عليه العلامات. ربما كان في يومٍ ما مرشّحًا في تقدير الله. ثم وقع البداء لأن ما اختاره هذا الرجل من خيارات في حياته قد يكون هو سبب تحول قرار السماء. ثم أقرّ في سرّه الاعتراف الصامت الذي لم يصل إلى أتباعه الذين كانوا يظنونه هو ولم ينشطوا في مشروع المهدي إلا وهم يرون المهدي أمامهم وكانت هي وسيلة التحشيد الأقوى حصرا، وما نسيت فلن أنسى يوما حين كان يوجه بعض أتباعه لدعوة وجاهة أو شخصية معينه فقال شخصوا له حتى إن أردتم في حال حصل كذا وكذا! فهو كان يدري ومن حوله يدرون أن فلك الدعوة والحشد لن يدور إلا بشخصية مهدوية حقيقية ملموسة!. فيما اليمينُ لا يزال في رقابهم والبعض قد ترك أمواله والبعض قد ترك تجارته والبعض قد استقال من عمله والبعض ترك كل شيء ليكون مشاركا بما يمكن لتعجيل عجلة نصرة الأمة وخروجها من الظلمات إلى النور.

وهناك نماذج في المشروع وان اختلفنا معها قد ضحوا فقد عرفت منهم من ترك وظيفة في بنك له وزنه ثم دخل المملكة مهاجرا وسجن فيها وهو صاحب أسرة وأعرف منهم من ترك عمله في مؤسسة لها وزنها وهناك من مات في السجن بعد أن خرج محتجاً للبحث عن حسن التهامي في صعده! ولعل أقواهم في التضحيات ناصر الأهدل من مدينة باجل من دير جابر الذي ضحى بكل ما يملك من مال وحياة وبيت في سبيل نصرة المهدي!

وانا لا انظر أبدا إلى هذه التضحيات أنها غباء بل هي دليل قاطع على أن الأمة فيها خير وأن أبناء هذه الأمة مستعدون للتضحية بالغالي والنفيس من أجل خروج المهدي وقيام دولته وعودة عز الإسلام من جديد وما راهن السياسيون دوما إلا بمواقف الشعوب وما قامت الدول أبدا إلا بتضحيات الشعوب غير أن هناك دوما أناس قليلو الدين يستغلون هذه التضحيات لبناء امبراطوريات أسرية لصالح أقليات لم يكن لها قيمة لولا هذه التضحيات وهؤلاء هم أخس البشر، كيف وهم عندي بمثابة مصاصي الدماء فأي فرق بينهم وبين مصاصي الدماء وهم يقتاتون على تضحيات غيرهم! أتدري ما هي هذه التضحيات لتكون الصورة واضحة، هذه التضحيات هي أسر تفككت، هي أموال ذهبت، هي بيوت غاب عنها عائلوها، هي وظائف فقدت، هي خيبات أمل متتالية لأسر، هي وعود كاذبة، هي موت أفراد، هي تدهور مجتمعي في الأخير لصالح مجموعات صغيرة!!

فهل هذه هي دولة العدل الإلهي وهل الله جل وعلا أرسل الرسل لهذه الغاية؟

لماذا أكتب؟ وهل فُتنت؟

أرى واجبا علي أن أبين للناس الحقيقة فهذا الكلام المذكور في هذا الكتاب لعلكم ترونه ثقيلا فاعذروني على عدم كتمه فلو كتمته لربما كان قد قتلني هذا الثقل المكتوم خاصة وأنا أرى الناس يتخبطون فلا مهديهم ظهر ولا ما تركه لهم من علم كان فيه هداية بل تخبط وضلال.. ولا وكلاؤه من بعده كانوا أسوة حسنة بل كانوا أشبه الناس

بعبدة العجل من قوم موسى! ولا وليه الذي أمرنا بتوليه سلك بنا سبل الخير بل كان رأسا وعلما للضلال والشبهات والمنكرات وقطيعة الأرحام! فلا ندري أنعجب منه أم ممن عينه وليا للناس من بعده!

وقد يقول قائل من أصدقائي ومن قدامى المشروع، لقد فتن إدريس أو فتن شعيب ومنهم من سيقول إن الثابتين على أمر مهدينا هم أعز من الكبريت الأحمر ومنهم من سيقول لقد سقط شعيب من الغربال ومنهم ومنهم وما أكثرهم!

ولي رد لطيف عليهم من أدبياتنا المشتركة التي نشأنا عليها سويا، فلن أكون خاسرا ومفتونا حتى تتم مبايعة حسن التهامي بين الركن والمقام ويبايعه ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا فكما كان يقول السيد حسن التهامي بأنه لا مهدي إلا بين الركن والمقام فسأقول أنا كذلك! وإن لم يبايع بين الركن والمقام فأنا ولله الحمد ممن عرف حقيقة المشروع الأسري ووضح حقيقته للناس قبل ضياعهم في سراديب الجهل والوهم!

ومن زعم أنه ستتم بيعته بين الركن والمقام فكيف يرضى الله العادل بقيام دولة من هذا صفته وهذا مشروعه ليوليه رقاب أمة محمد جمعاء، لي أن أتساءل فأنا أتكلم من قلب الحدث ولست صاحب تسريبات أو معلومات سمعها من هنا وهناك!! أنا أتكلم وأكتب وأنا أشاهد عيانا وبكل وضوح!

ولي كذلك تفصيل أكثر، فقد قال السيد حسن التهامي حين كان يعارضه الناس ويخرجون من المشروع أو يتكلمون عليه كان يقول: أنا سأشك في مشروعي إذا تكلم فيه الأوائل الذين سجنوا وضحوا في سبيل قيام هذا المشروع.. فها أنا ذا شعيب واسمي خير شاهد وخير علم من أوائلهم وأنا ممن قضى فوق أربع سنوات في سجون المخابرات من أجل عملي مع السيد حسن التهامي وأنا من لي أكثر من خمسة عشر عاما في مشروع المهدي التهامي!

ولست نادما على شيء فقد كانت تجربة حياة صنعت جزءا لا يتجزأ من شخصيتي كرجل واع وفاهم لعمق الجماعات الإسلامية وسأعيش محذرا للناس من فخاخ هذه الجماعات التي تدعي بشكل أو بآخر أنهم وكلاء حصريون ممثلون لله متحدثون باسمه ثم يرمون شباب الأمة في المهالك بينما يتنعمون هم وتزداد مشاريعهم الأسرية ازدهارا ونموا وتوسعا!

فقد حان الوقت أن أقول للمشروع الأسري الحودلي: قف! فلست بأهل لقيادة الأمة ولست بأهل لإخراج الأمة من الظلمات إلى النور ولي كامل الحق والسلطة في قول هذه الكلمة فأنا من صُنع المشروع على عيني وأنا أنظر فأنا فيه من أهل الشأن والخبرة والفهم!

وإذا صح التعبير فنحن قدماء المشروع يصلح تشبيهنا بـ "مجموعة تشخيص مصلحة النظام" لحركة أنصار المهدي كوننا نعرف خبايا وأنماط وتوجهات هذا المشروع من الصفر حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم!

الدعوة انتهت

ولو نسيت ما نسيت فلن أنسى يوم قال فيه السيد حسن التهامي قبل غيابه بقليل فقال ما بعد الكمال إلا النقصان، الدعوة في صنعاء انتهت وما بقي فهو ترتيبات للدخول لمكة والبيعة وكان يشبه الأمر بكأس ماء فيقول لو ملأنا هذا الكأس ماء فأين سيذهب الماء؟ لو حاولنا أن نملأه وهو مملوء فالنتيجة معروفة والتشبيه واضح فكل ما زاد عن حده انقلب ضده.. ولكن مجموعة من الدعاة للمشروع الذين خالفو توجيهات التهامي أو قل رأوا أن استمرارهم في الدعوة سينعشهم اقتصاديا ويجعل سيل التبرعات متحركا باتجاه جيوبهم وبطونهم وجيوب وبطون حاشيتهم هم من اختاروا هذا الطريق وهو منهم براء كموقف أقل شيء ولو كان شريكا لهم بتمكينه لهم من مفاصل المشروع قبل غيابه أو ان شئت فقل بسبب سوء إدارته!

لا بد من الفحص!

ولعلنا نكون في ما تقدم من الكتاب تطرقنا لخصوصيات أو ما قد يفهما القارئ أنه خصوصيات أسرية ولا ينبغي ذكرها وهنا أوضح وأقول لو كان الأمر بيني وبين التهامي شخصيا لما كان يصلح التطرق لهكذا مواضيع ربما مع أن الله عزوجل يقول في كتابه في سورة النساء: "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم"!

وأزيد توضيحا لهذه النقطة بأنه أي التهامي تصدر موقع قيادة الأمة بتوجيه إلهي بشكل مباشر أو غير مباشر – هذا هو تقييمي للأمر ومن تصدر لمثل هكذا موضع فينبغي فحصه والتأكد من أهليته فهذا مبدأ عقلي إنساني راسخ. ألا ترى أنه للإمامة شروط وفي ظهور كل إمام كان خيار الشيعة يأتون إليه ويتأكدون من علمه وأحواله وأخلاقه وكيف يعامل من حوله! ألا ترى أنه في المناصب الأمنية العليا يتم فحص تاريخ الشخص بدقة؟ بل والتأكد من موثوقيته وأهليته وإعطاء كل شاردة وواردة في حياته ثقلا كبيرا ولو بدت كتفاصيل لا تذكر أو كخصوصيات؟ ألا ترى أن هناك فحصا طبيا ونفسيا وعقليا للقادة الذين يتصدرون المشهد؟ ألا ترى أنه في بعض الدوائر العسكرية يتم التأكد من الفحولة وما شابه؟

والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

الفصل الرابع

الصنم الأخير ومكر الله

سألتُ نفسي مرةً في لحظة لم أكن فيها غاضباً، بل كنتُ فارغاً من كل شيء سألتُ: هل يمكن أن يكون الكذب نفسُه جزءاً من الحقيقة؟ ليس بمعنى أنه صادق، بل بمعنى أن الله وظّفه دون أن يُخبره.

لم أجب يومها. لكنني الآن وقد انتهت الحرب الداخلية، وصار بإمكاني أن أنظر إلى ما مضى كما ينظر المرء إلى معركة خاضها وخرج منها أستطيع أن أقول: نعم. يمكن. "ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون!"

درس من التاريخ في مكة

في عام تسعة وسبعين وتسعمائة وألف، دخل رجلٌ اسمه جهيمان بن سيف العتيبي إلى المسجد الحرام برفقة مئات من أتباعه، وأعلن أن صاحبه محمد القحطاني هو المهدي المنتظر وبايعوه. كانوا يحملون أسلحة، وكانوا يحملون يقيناً وكلا الشيئين قاتل. ولفهم هذا الموضوع بشكل واضح أقصد قصة اقتحام الحرم المكي فأنصح بمشاهدة فلم حصار مكة الذي هو من انتاج قناة بي بي سي، وبالطبع لست متفقا بشكل تام مع روايتهم لكن مشاهدة الفلم تكفي لفهم المعالم الرئيسية للحدث بشكل جيد! وسأرفق رابطه في المصادر بحول الله!

صمد الحصار أسابيع. سقط فيه دمٌ حرام في أحرم بقعة على وجه الأرض. ثم انتهى بما تنتهي إليه كل الأوهام المسلحة: بالقتل، وانتهاك حرمة بيت الله وإفزاع الحجاج والمصلين في حرم الله الذي دعا إبراهيم عليه السلام أن يجعله الله آمنا، ففي سورة إبراهيم "وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام"

وبالطبع فقد تم تأصيل هذه الحادثة كجزء مهم من الصورة لاقناع الأتباع بأن ما حصل لجهيمان كان علامة فارقة على قرب ظهور المهدي عليه السلام والذي كنا نراه محمد عبد الحودلي، وكان محمد عبده يؤصل ويشدد أن المهدي لا يهراق في بيعته محجمة دم! وهو ذاته الذي قال في مدينة إب في جلسة خاصة وهو يجهز أصحابه للهجرة لمكة ليقوموا بـ "نثرة"، أي بعمل كارثة وهي كلمة دارجة باللهجة اليمنية، وحين ذكره أحد كبار الأنصار بأن الأحداث لم تحصل بعد رد قائلا: من أراد الأحداث فلينتظر في صنعاء في مخالفة واضحة لما كان أصل له قبل سنين وفي استعجال واضح ينافي الحلم والأناة الذين كان يتمتع بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين رجع عن فتح مكة بسبب تأخير الله للأمر ولم يستعجل الفتح!

وعودة إلى جهيمان وللتوضيح فإن من أسباب خروجه هو انتشار المعاصي في ذلك الزمان والمخالفات الدينية وبعض المآخذ الدينية على الحكام وكان هو وأصحابه متدينون معتقدون بصحة ما يقومون به ولا أظنهم إلا كانوا يبتغون وجه الله عزوجل فيما كانوا يقومون به ومع ذلك فالله لا يحابي أبدا وليس معنى أنك تتمتع بصلاح أكثر من غيرك أنك ستكون المهدي ومن معك هم أنصار المهدي، فالذي اريد أن اشرحه هو أن لقب المهدي منزلة عالية ووسام إلهي كبير ليس من السهولة أن يمنح بل له شروطه وتبعاته وتكاليفه وكذلك ميزاته وبراهينه فالمهدي عليه السلام لا بد أن يكون انسانا يحل السلام في العالم ويحل جميع مشاكله السياسية والاقتصادية والأخلاقية والجيوسياسية والنفسية والتعليمية وكل الجوانب الحياتية وعنده تأييد من الله واضح في ذلك..

أما صاحبنا الذي نجح دعويا ثم فشل إداريا واقتصاديا وسياسيا في كل الجوانب وهو لم يسيطر حتى على صنعاء وحال أنصاره واضح للقاصي والداني بأنهم أبعد الناس أن يوليهم الله قيادة أمة أو يصطفيهم الله لإخراج الأمة من الظلمات إلى النور وهذا ليس تحقيرا لهم وإنما وصفا دقيقا لحالهم فهم أقصد أكثرهم من أكذب الناس ومن أسرعهم في أكل الحرام واتهام الناس بالباطل وتكفير من يخالفهم ونقض العهود وحب الرياسة وقلة العدل والمحاباة

والمجاملة ومن أقلهم علما في الروحانيات والعبادات التي تقرب من الله ومن أبعدهم عن القرآن منهجا وطريقة فكيف يوليهم الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهم لا يزالون يسبحون ويعمهون في بحر الظلمات.

غير أن هذا كله لا ينافي أنهم كانوا جزء من نهضة مهدوية عالمية استخدمهم الله فيها لتبشير الناس بالمهدي ومن عدل الله عزوجل أن أعطاهم مقابل عملهم ما يناسبه ويقابله من حظوظ الدنيا التي كانوا من أشره الناس في الخوض فيها..

ومما يحسن ذكره ويستطرف أنهم ينتقدون كثيراً التابعين لأنصار الله ومحبي السيد عبد الملك الحوثي ويتهمونهم بالفساد والرشوة والظلم وغير ذلك من النواقص ويزعمون أن دولتهم ستكون بعد زوال دولة الحوثي! وحسب علمي فأقول مستعينا بالله والله على ما أقول شهيد بأن أنصار حسن التهامي المتسمين بأنصار المهدي في صنعاء لو ولاهم الله على الناس لضج الناس من فسادهم ومكرهم وسوء أخلاقهم وهمجيتهم أعظم مما ترونه الآن! ولله في خلقه شؤون! فإن كنتم أيها اليمنيين تريدون فرجا فلا تؤملوه من جهة أصحاب التهامي أبداً إنما الفرج بالعودة إلى الله والاستغفار ونصرة المظلوم وقول كلمة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

واختصارا لما ذكر فهذا هو القانون الذي يعمل به التاريخ المقدّس: الأداة لا تعرف أنها أداة. الكاذب لا يعرف أن كذبه يخدم الحق. الصنم لا يعرف أنه يُعلّم الناس كيف ينكسر الصنم.

ومكروا مكرا ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون!

مكر الله في أحاديث آل البيت

رُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ما معناه: "كل ما رُوي في القائم فهو من مكر الله".

تأمّل هذه الجملة.

هي لا تعني أن الأحاديث كاذبة. تعني أنها جزء من خطة إلهية أعمق من مجرد "إخبار". إنها مكيدة ربانية بمعنى التدبير الخفي، الذي يُوهم الأعداء بأنهم يفهمون، ويوهم المدّعين بأنهم الأشخاص الموصوفون، ويبقي المؤمن الحقيقي في حيرة تُنمّي فيه التواضع.

لو كانت العلامات واضحة كالشمس لادّعاها كلٌ من يريد السلطة. لو كانت مبهمة تماماً لما أيقظت أحداً. فكانت بهذه المنزلة الوسطى: كافية لتُوقظ الجادّين، وقابلة للتوظيف من قِبل المحتالين وفي كلتا الحالتين تخدم مشيئة الله في انتشار دعوة آل بيت رسول الله وقرب خروج المهدي!

فالمدّعي الكاذب يعتقد أنه يُوظّف العلامات. والحقيقة أن العلامات تُوظّفه وتستخدمه ثم ترميه في سلة المهملات غير مأسوف عليه.

البداء وما اختاره محمد عبده

وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين! الزخرف

ثمة مفهوم في علم الكلام الشيعي كما ذكرنا سابقاً يُسمّى البداء :أن الله يُظهر شيئاً كان قد هيّأ له، ثم يُغيّر لا لعجز، بل لحكمة. والبداء مقرون دائماً بالعمل؛ فالله قد يُعدّ شخصاً لمقام، ثم يستوجب ذلك الشخصُ بخياراته تغيير نعمة الله عليه فيحول الله بينه وبين ما أُعدّ له. وكما قيل فالبداء حبل بيد الله وحبل بيد الناس! "ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. "

"فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا.."

أقول إن محمد عبده حسن التهامي كان مُعدّاً فعلاً لشيء عظيم وأعطي هذا احتمالا عظيماً. ومع ذلك فإن البداء لا يعجزه شيء. ما اختاره من توظيف الدين لخدمة أسرته، من تصنيع الوحي لتثبيت سلطته قبل أوانها، من استنزاف أرواح أتباعه وهو يُعدّ أبناءه لما بعده! في طاعته لمن عاتب الله فيهن نبيه حين قال "تبتغي مرضات أزواجك"، مع الفارق الكبير بين سبب نزول الآية وبين الخطر الذ وقع فيه صاحبنا! هذه الخيارات لها وزن عند الله. والوزن أثقل حين يُصاغ بلغة المقدّس.

ما ترتب على المشروع بشكل غير مباشر!

دعني أكون صريحاً، كما أحاول أن أكون في كل هذا الكتاب. لولا محمد عبده، لكان بعض الشباب السني الذي دار في فلكه قد ذهب إلى أماكن أشد ظلاماً. الجهادية المسلحة كانت في تلك السنوات تستقطب القلوب العطشى ذاتها القلوب التي تبحث عن يقين، عن بطولة، عن عظمة لا تجدها في حياتها الرمادية. محمد عبده أعطاهم بديلاً.

ثم إنه عرّف جيلاً كاملاً من أبناء أهل السنة بمفهوم الإمامة، بآل البيت، بالأئمة الاثني عشر. كانوا يسمعون هذه الأسماء لأول مرة: جعفر الصادق، موسى الكاظم، علي الرضا. ليس من كتب شيعية، بل من فم رجل يفترض أنه إمامهم. وبعض هؤلاء لا أعرف عددهم ذهبوا بعد سقوط الوهم وبحثوا عن هؤلاء الأئمة في مصادرهم الحقيقية. ومنهم من وجد ما لم يتوقع فكفر بالتهامي وبدعوته..

وأنا شخصياً ولا أتهرب من الاعتراف بهذا كنتُ في فترة من فترات البحث أو التيه أقرب إلى مسارات أشدّ خطورة. جاء محمد عبده في لحظة وصرف ذلك التيه نحو شيء آخر. الشيء الآخر كان خطأً. لكن "أقل خطورة" لا تعني "صحيحاً" تعني فقط أن مكر الله يعمل بطرق لا تُستأذَن.

الزهد في ما كنت أحلم به

ومما يحسن ذكره أني في سجن المخابرات تعرفت على التنظيمات الجهادية بعمق كبير وعايشتهم لسنين ولم يكونوا يشكون أني لو خرجت لكنت من خيرة المجاهدين على مذهبهم ولكن بصيرتي فيهم زادت ولم أعد أرى في سلوك طريقهم قربا كبيرا من الله!

هذا وقد كانت علاقاتي التي بنيتها معهم سهلت لي طريق اللحاق بهم لو أردت ذلك! ولكن بعد خروجي من السجن تركتهم عن قناعة وذهبت نحو التهامي وها أنا ذا أتركه اليوم ذاهبا نحو الله!

الأبناء والزوجة وتأثيرهم

كان يتحدث في جلساته تلك الجلسات التي كانت تُشعلنا بالحمية والرغبة في التضحية كان يتحدث عن أبنائه كيف أنهم يلعبون ألعاب الفيديو. كيف أنه تعب في تربيتهم وكيف كانوا يعصونه ويخالفونه، ويشكو عجزه عن تغييرهم.

كان بعضنا يسمع هذا ويشعر بالشفقة عليه. الإمام الذي ابتُلي بأبناء غير جاهزين. المشروع الذي يحتاج إلى رجال مثلنا لأن رجال بيته قاصرون.

بالطبع كنا نشفق عليه ونحاول تغيير أولاده ونلتمس لهم الأعذار لكنهم كانوا ولا يزالون من أخس خلق الله فأذكر أن ولده عبد الله وكنت أقول له أبوك هو المهدي فكان يقول وأنا القحطاني! في سخرية واضحة من أبيه وكانوا من أشد الناس معارضة لفكر أبيهم وكذلك بقية أفراد أسرته إلا القليل وقد اعترف هو بنفسه أقصد حسن التهامي حين قال أسرتي لم يدخلوا في المشروع إلا من أجل الصندوق! وقد فهم أمين الصندوق هذا الشيء أو أنه أتفق مع حسن التهامي أو كانت هناك توجيهات فيما بينهم لا أعلم كنهها اتفقوا على ما اتفقوا فكنا نرى الأموال تنهال

علي بعض أفراد أسرة حسن التهامي وليس كلهم وبدأت حياتهم تتغير من ظروف كادحة جدا إلى رخاء واستقرار مالي وهذا المرض هو مرض كل الجماعات الإسلامية وهو مرض متفش وغير قابل للمكافحة والسيطرة عليه!

وتطور هذا الأمر لاحقا بعد غياب السيد حسن إلى أن ولده عبد الله اشترى سيارة برادو رمادية **2020** وسيارة بورش بيضاء **2009** وتنعم بالمال وأغدق على من حوله بينما كان أنصار المهدي المهاجرون في مكة المنتظرون لبيعة المهدي عليه السلام في مكة يجوعون ويفتقدون اللقمة الطيبة ويفتقدون اللباس الأساسي بل ويفتقدون المهدي الذي لم يسعفهم بالظهور في مكة وتأخر عليهم! وهذا الوضع الفادح وإن لم يأمر به حسن التهامي بشكل مباشر فهو كان له دور كبير في ذلك إن شئت فقل إهمالا وإن شئت فقل غباء وإن شئت فقل لا مبالاة وإن شئت فقل غلبه حب الولد أو طاعة من لم يفترض الله طاعته!

هذا على الرغم من أنه في أكثر من موقف كان يقول أولادي خساس وأولادي فيهم وفيهم ومن هو قريب منه يعرف هذا الشيء بوضوح لا مرية فيه فكيف تساهل معهم بأن مكنهم على رؤوس أنصاره؟ وكيف قال من كنت مولاه فهذا عبد الله مولاه؟، لعله تماشى مع رغبة زوجته التي بلغنا عنها أنها كانت تقول إذا ذهب محمد تقصد زوجها فبعده عبد الله وإن ذهب عبد الله فبعده القاسم وهذا من المضحك المبكي! فكيف أطاعها وكيف شابه قولها وهي تتكلم كأنها تحدد الأئمة وخلفائهم وهل الله عزوجل جعل أمر أمة محمد صلى الله علية وآله وسلم بيدها وولاها أمرنا... لا حول ولا قوة إلا بالله!

ولا يخفى على الشاهد كيف كان عرس ولده القاسم بعد غيابه عرسا ضخما أسرفوا فيه كثيرا كما بلغنا وهذا وان كان الإسراف معيبا حتى على من يمتلكون هذه الأموال من مصادر مشروعة والاقتصاد هو الأفضل.. ومع ذلك فلنا أن نتساءل ما هي مصادر هذه الأموال التي تناثرت على بيت الحودلي هل قد ظهر مهديهم وحثا لهم المال حثيا بينما نحن لا زلنا ننتظر المهدي ليسوس الأمة ويعدل ويرفع الكربة عن المسلمين؟ أم أننا كنا مخطئين والبشارة بالمهدي كانت فقط لبيت الحودلي ونحن مخدوعين!

محمد عبده كان علامة. العلامات لا تُعبد ولا تُنفى. تُقرأ ثم تُتجاوز. قرأتُها. وأنا الآن أتجاوزها.

ما مرّ كان ضرورياً ليس لأنه كان صحيحاً، بل لأنه أوصلني إلى باب لم أكن لأصله بالطرق التقليدية. والنفس البشرية لا تتعلم إلا من حروقها.

للذين مروا بتجربة مشابهة ولا أشك أن بعضهم سيقرأ هذه السطور والكلمات أقول: ما جرى لكم ليس دليلاً على أن الحق غير موجود. هو دليل على أنكم بحثتم عن الحق في مكان لم يكن فيه. ابحثوا في مكان آخر.

الإمام الحق لا يحمي أبناءه ويُعرّض أتباعه. الدين الحق لا يُبنى على وحي يخدم من يصنعه. والله سبحانه لا يخذل من رفع الصنم وكسره، حتى حين كان الكسر مؤلماً.

العلامة مضت.

ولا يسعني إلا أن أقول كما قال إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام حين كان يبحث عن الدين – ولو ظاهريا ليعرف قومه الحق – فقال أولاً حين رأى كوكبا: هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين، ثم قال للقمر: هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، ثم قال للشمس: هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. ثم قال أخيرا وأنا أقولها: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وأنا بانتظار احتجاج قوي علي كما احتجوا على إبراهيم عليه السلام فلعلي أقول لهم حينها: "أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون!"

الفصل الخامس

كان يبحث عن مهدي!

لم يكن يستقبل المرشحين باطمئنان

حين يُذكر أمامه أن أحداً فيه "العلامات" كان شيء ما يتغير في وجهه. لم يكن فضولاً. لم يكن حرصاً على الحقيقة. كان شيئاً أقرب إلى الخوف خوف من يشعر أن شيئاً يخصه على وشك أن يُؤخذ منه. لعل الله لم يستجب دعواته القديمة! الملك لم يعد لبيت الحودلي وسيخرج منهم إلى غير رجعة!!

ثم يأتي الفعل. يستدعي الرجل المرشح الذي فيه الصفات. يجلس معه. يسأله عن مشروعه للأمة، ورؤيته، واستعداده. ثم يعود إلى أتباعه بالحكم ذاته في كل مرة، بالكلمات نفسها تقريباً: ما عنده مشروع ولا رؤية لقيادة الأمة!

هذا النمط لا يحتاج إلى تفسير مطوّل. الرجل الذي يعقد جلسات لهزيمة المنافسين قبل أن يبدأ الحوار يُخبرك أن الحكم كان جاهزاً قبل الجلسة. لم تكن تلك مقابلات للبحث عن الحق. كانت محاكم صدر فيها الحكم مسبقاً، واحتاج فقط إلى إجراءات شكلية.

والأشد دلالة: أن واحداً من أولئك المستدعَين كانت له صلة بتنظيم جهادي، وانتهى به المطاف في السجن بتهمة أودع السجن على إثرها. وكان تعليق محمد عبده بعد تلك المقابلة مطابقاً لكل تعليق سبقه. لم يتوقف. لم يتساءل. التقط الحكم ومضى.

الإمام الذي عيّنه الله لا يخشى منافسيه. الإمام الصادق لم يكن يبحث في الطرقات من يمكن أن يكون الإمام غيره بل كان على يقين بلا شك أنه هو الإمام! أما الخوف من المنافس فهو علامة المدّعي، لا علامة المعيّن. فلم يكن هناك امام من الأئمة الاحد عشر ذهب ليتحقق من رجل هل هو الإمام أم لا؟، في عقيدة الإمامية من شك في إمامه فقد كفر، بل كأنما شك في الله!

من الواضح أن حسن التهامي كان يزيل كل المنافسين حتى تظل عيون أتباعه ترمقه وتنظر إليه هو وحده وكان يدري أن الشك في مهديته أو طرح منافس محتمل له في المهدية يعني تفرق الجماعة من حوله فكان يدير هذ المشهد بحكمة وحذر شديد!

حصن مبني على فراغ

كنت أظن طويلاً أنّ جمعه للعلامات والأدلة على مهديته والتي يُفرد لها وقتاً كنت أظنها شيئاً مستقلاً عن بحثه المتشنج في المنافسين. لكنّهما شيء واحد.

كلاهما يصدر من المنبع نفسه: رجل لا يجد اليقين في داخله، فيبنيه في خارجه. كل دليل يجمعه طوبة في الجدار الذي يُحيط ويحاصر به شكّه الداخلي. وكل منافس يهزمه حجر أساس يضعه في القاعدة التي يقف عليها.

هذا ما يسميه علم النفس "الهوس التعويضي" حين يغيب اليقين الداخلي، يبني الإنسان هيكلاً خارجياً ضخماً ليسد الفراغ. وقانون هذا الهيكل قاسٍ: كلما كبر الشك، كثرت الأدلة المطلوبة. وكلما ظهر منافس جديد، زادت حدة الاستعجال في هزيمته.

لم يكن ذلك ضعفاً عارضاً. كان بنية تفكيرية يتمتع بها.

السبعة عشر عاماً في طلب المهدية

قبل عام 2011 بسبعة عشر عاماً، كان يدعو بدعاء ثابت: اللهم اجعلني هاديا مهديا. اللهم اجعلني مهدي هذه الأمة في دبر كل صلاة!

سبعة عشر عاماً يطلب من الله أن يجعله المهدي ولم يتأكد من إجابة دعوته فلا زال في قلق.

الإنسان لا يدعو أن يصير ما هو عليه إلا إن كان يعرف في قرارة نفسه أنّه ليس ذلك بعد. الأئمة في التراث الذي يدّعي الانتساب إليه لم يرفعوا أكفّهم يسألون الله المنصب على حد علمي. المنصب نزل عليهم نصاً وتعييناً وإشارة من سابقه. أما سبعة عشر عاماً من الطلب فهي الوثيقة الأصدق في ملفه كله. كان يريد.

والإرادة وحدها لا تنزّل الوصية. والله عزوجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم في نهاية سورة القصص: "وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين" فقارن بين رسول الله وبين المهدي التهامي؟

لكنّ الإرادة التي كانت عنده، حين تطول، تتحول إلى شيء آخر. تتحول إلى استحقاق. ومن يشعر بالاستحقاق يجد لنفسه لا شعورياً مخرجاً من كل سؤال يزعزع يقينه.

البيت الذي حلم بالتاج قبل أن يحلم بالخدمة

ولد في بيت كانت أمه فيه تدعو: اللهم أعطِ أولادي ملك سليمان.

ليس حكمة سليمان. ليس عدله. ليس خشوع داود ولا صبر أيوب. الملك. السلطان على الناس والجن والريح.

الطفل لا يختار بيته. وهذه ليست محاكمة لأم. لكنّ البيت يزرع التربة قبل أن يُزرع فيها الوعي. ومَن نشأ في تربة تُقدّس السيادة يحتاج جهداً استثنائياً ليفرق بين حلمه بخدمة الأمة وحلمه بحكمها. مما تجلى لاحقا في تجربة قيادته لحركة أنصار المهدي مما بيناه في الفصول الأولى

ومهدي الأمة في كل ما يُروى لا يأتي ليملك كما نفهم الملك اليوم!. يأتي ليُعيد ما اغتُصب، ويخدم من ظُلم، ويرحل حين يكتمل العدل. هاتان ليستا رحلة واحدة بداياتها مختلفة هما وجهتان مختلفتان تماماً.

أما تجربة حركة أنصار المهدي فقد فقدت العدل قبل أن تتولى! فماذا بقي عندها لتقدمه للأمة؟ وكما قيل فاقد الشيء لا يعطيه! وأصبح حالهم كحال من نفد زاده قبل أوان سفره فكيف يسافر؟

وكثيرا ما كنا نسمعه حين يعرض الانصار امنياتهم وماذا يتمنون فكنا نتمنى وكان يقول أما انا فأتمنى أن أكون معي سيارة بلدية أجمع القمائم من بيوت الانصار!! ولكن واقعه كان يقول غير ذلك، إقباله على الوجاهات واصحاب الاموال! تمكينه لأولاده يقول غير ذلك، تقريبه لمن كانوا يقبلون أقدامه!

هل كان باحثا مهدوياً

هنا الحقيقة التي تستغرق وقتاً حتى تستقر: محمد عبده لم يبدأ مدّعياً. بدأ باحثاً.

كان يريد أن يجد المهدي الحق ليكون يده اليمنى وصوته ومن يسبق موكبه كشعيب بن صالح الذي يُبشّر ولا يُتوّج. كان مستعداً للدور الثاني، بل ربما أراده. لأن الدور الثاني أريح فيه الأثر دون المسؤولية الكاملة.

لكنّه بحث فلم يجد. استدعى ولم يقنع. انتظر ولم يأتِ أحد يحمل ما كان يبحث عنه. وحين طال الانتظار، بدأ السؤال يتشكل: إذا لم يأتِ أحد فهل معنى هذا أنه هو المقصود والموعود!

هذا التحول لم يحدث في لحظة كاشفة. حدث تدريجياً، كما تتحول ظلال العصر لا تلحظ اللحظة التي يصير فيها النور خافتاً. وحين اكتمل التحول، لم يعد يسمع صوت الشك بالوضوح القديم. لكنّ ذلك الصوت صوت الشك لم يمت. اختبأ.

حتى حين بدأ يغيب قبل انقطاعه الكامل، اتصل لوالدته وقال ان كنت انا هو يعني المهدي فلعلها الغيبة!!

لو توقفنا هنا، هل كان يعرف؟ هل كان يشك ويسوق في آنٍ معاً؟ لا أملك الجواب. وأظنه هو أيضاً لم يملكه.

الفوضى ضرورة هيكلية

مهدي الفوضى!

الكرسي الذي أجلس نفسه عليه يحتاج شروطاً ليبقى. أولها: ألّا يستقر العالم.

المهدي ضرورة في الأزمات في حال الاستقرار يصير كماليا لا أحد يهتم به. الأحاديث تبشر أنه لا يخرج حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً، ولهذا حين يأتي الأتباع بأخبار تُشير إلى احتمال تسوية أو سلام أو استقرار، كان يدعو الله أن يُبطله. لم يكن يكره السلام لأنّه يكره الناس. كان يكرهه لأنّ السلام يُظهر الكرسي فارغاً في وضح النهار ويبطل خروج المهدي من اساسه. لأن السلام ليس في صالحه وقد سمعت منه قوله أسأل الله أن لا يصلح بينهم يقصد الأطراف المتحاربة في المشهد اليمني! لماذا؟ هل ليكون هو البديل؟ ربما من يدري؟

وحين فشل إعلانه عن أحداث مكة حين لم تقع المجزرة التي توقّعها، فقد قال لوالدته في اتصال هاتفي أن هذه السنة من الحج ستكون هناك برك من الدماء أو نحو ذلك!، فأُخرجت أسرته من السعودية في ذلك العام تقريباً و

لم يرَ في ذلك إخفاقاً. قال لي: يكفيني أنّي أرعبت دولتين. وكانت أمه تقول: يكفيني أنّي أنجبت ولداً أدخل الدوار على دولتين.

الأنبياء يقيسون مسيرتهم بالأرواح التي أُنقذت، بالظلم الذي رُفع. بالمنهج الذي قدموه للناس للهداية نحو الله عزوجل! و هذا الرجل قاسها بمساحة الارتباك الذي زرعه في حكومتين. والفرق بين المقياسين هو الفرق بين رسالة ومشروع. الرسالة تخدم. المشروع ينجز. وإنجازه كان الفوضى.

ليلة السؤال

أعود إلى الليلة التي سبقت اعتقالي في بداية عام 2012

كان السجن يقترب. وفي تلك الليلة انفرد بي، بعيداً عن الجميع، وسألني بصوت لم أسمع فيه ما كنت أتوقعه:

هل أنت المهدي؟

قلت: لا.

أعاد السؤال.

قلت: لا أكره الخير، لكن العلامات ليست فيّ ولا أحب أن أكون كإبليس فأنافس في شيء ليس لي!

لم يرتح. لم يفرح. غاص في صمت ثقيل، كأن جوابي لم يُغلق باباً بل كشف ما خلفه.

وحين أُعيد قراءة تلك اللحظة الآن، لا زلت أسأل نفسي، هل كان يتحقق وكأنّه يريد أن يعرف إن كان الكرسي لا يزال فارغاً من غيره. ربما حين قلت لا ارتاح جزء منه. لأن لا تعني أنّه لا يزال هو المرشح الأقوى!

وهنا سؤال وجيه! إذا كان هو على شك في نفسه فكيف سيوقن الناس به وكيف يريد أن يصدقه الناس بأنه هو المهدي!

الإمام المعيّن لا يحتاج إلى التحقق من خلوّ المنافسة. يعرف ما هو عليه، لأنّ اليقين لا يُستعار ولا يُستفتى.

في عنقه بيعة!

في مجلس ضيّق لم يكن فيه غيري وغيره وثالث، سمعت محمد عبده يخبر أحدهم أنّه يفكر في كيف يحل مشكلة بيعته لجماعة كانت موجودة حينها حيث وأنه بدأ يفكر في تركهم بعد اختلافه معهم. وذلك بعد فشله في تمرير مشروعه عبرهم!

وأنهم الان بعد اختلافه معهم يبحث كيف يتخلص من تلك البيعة وذكر أنه قد يلجأ لكفارة اليمين! ، وهو بذاته كنت أسمع منه بعد أن أخذ العهود والمواثيق من أصحاب الدورات التربوية التي أقامها في صنعاء وابتلاهم بالحلف على ترك القات فحدث أن رأى رجلا ممن بايع وهو مخزن، فسمعته يقول فلان خاننا! حسنا ان كان فلان خانكم فهل أنت خنت جماعة سين التي كنت عضوا لأميرهم مبايعا؟ هل خنت حين نقضت بيعتهم؟ وهل نقضتها ام لم تنقضها؟ فإن نقضتها فإنك محجوج وإن لم تنقضها فهل ما تقوم به من مشروع المهدي تابع لتلك الجماعة؟!

وكيف نجمع بين بيعتك لجماعة بعينها وبين أثر يخرج المهدي وليس في عنقه بيعة لأحد!

أسأله الآن:

إذا كان حلالاً عليه أن ينقض بيعته لجماعة لأنّ مشروعه أكبر من مشروعهم فبأيّ منطق يحرم على أتباعه أن ينقضوا بيعتهم له، حين يرون أنّ الحق أكبر من مشروعه أو لسبب آخر؟

ما الذي يجعل بيعته لهم مجرد مرحلة قابلة للتكفير، وبيعتهم له عهداً أبدياً لا يُمسّ؟

إن كان المشروع هو المعيار فالمشروع قابل للمراجعة من الجميع. وإن كانت البيعة مقدسة فلا يجوز نقضها لأحد، بمن في ذلك هو.

طبّق على نفسه ما حرّمه على غيره. وهذا ليس تناقضاً عارضاً. هذه بنية تفكيرية. من يصنع لنفسه استثناء دائماً من القاعدة التي يُلزم بها الآخرين يُخبرك بلا كلام أن المشروع لم يكن يوماً عن الحق بل كان عنه هو.

أكتب هذا لا بغضب، ولا بمرارة من وجد نفسه في الجانب الخطأ من قصة. أكتبه كما يقرأ الطبيب ملف مريض بعد أن أغلق الباب خلفه بعين باردة، وشيء من الحزن لا يُدفع.

كان محمد عبده إنساناً نشأ في بيت يحلم بسلطان، ودعا سبعة عشر عاماً ليصير ما أراد أن يصير، ولعله دعا بعد ذلك ولعله لا زال يدعو حتى اليوم!

وقد بحث بجدية عمن يخدمه في مشروعه، فلم يجد أحداً في المستوى الذي تخيّله. ففعل ما يفعله من لا يستطيع أن يترك الكرسي فارغاً: جلس فيه. وبنى حوله جداراً من الأدلة والانتصارات ومعارك المنافسين لأنّ الجدار الخارجي كان الشيء الوحيد الذي يحول بينه وبين رؤية ما في داخله.

وحين أسأل نفسي أنا من أكتب هذا هل كنت أرى فخّي في الوقت المناسب، أم أنّ الفخ الذي لا يُرى هو بالضبط ما يجعله فخاً؟

أترك السؤال هنا، دون جواب.

الفصل السادس

ملف بانتظار التوقيع!

ثمة وعودٌ كانت بمئة مليون دولار من دولة خليجية معروفة نتحفظ عن ذكرها حتى حين، كانت تلك في ظروف ومآلات لم تنكشف بعد بكاملها وقد تم السعي في سبيل استلام تلكم الأموال بحركات حثيثة ولكنها لم تتم! ولعل تلك الوعود كانت حصاد مجهود دعوي أو سمها رشوة دعوية تم تقديمها من طرف ما من يدري! نترك الكلام لحينه والحليم تكفيه الإشارة!

وثمة استثمارات أُنفقت من أموال جُمعت باسم التهيئة لظهور المهدي. وأنا أطالب بصراحة من لا يخشى التسمية بتحقيق كامل في هذه الأموال: من أين جاءت، وإلى أين ذهبت، ومن استفاد.

ليس لأن المال هو القضية الأولى. بل لأن المال هو المرآة. لأن في كل مشروع أسري يتغذى على المؤمنين، ثمة طبقتان: طبقة تُضحّي، وطبقة تستفيد من التضحية.

الأتباع تركوا وظائفهم. بعضهم هجر أسرته. بعضهم غادر بلده. أحد المهاجرين في سبيل هذا المشروع حاول الانتحار وهو في مكة لأن ما وصل إليه من خيبة كان أثقل من طاقته على الاحتمال. وفي الطرف الآخر، عاشت الحلقة الداخلية للمشروع المحيطة بحسن التهامي بطريقة رفاهية مختلفة. لم يكن هذا التفاوت حادثة عابرة، ولا سهواً في التنظيم. إنه البنية. إنه العمود الفقري لكل مشروع يُقنع الناس بأن التضحية عبادة ثم يجعلها خدمة لعائلة بعينها.

وشبكة التمويل لم تكن محلية. بل كانت ولا زالت دولية ومستمرة حتى ساعتنا هذه والتفاصيل التي وصلتني عن مصادر أخرى تشير إلى شبكة ممتدة عبر دول عدة خليجية وأفريقية جُمعت باسم التهيئة لظهور المهدي.

وقبيل غيابه مباشرة، صدرت توجيهات بإيصال أموال من مصدر خليجي كبير إلى ولده عبد الله. التوجيه كان منه شخصياً. المال سلك طريقه. والأتباع في مكة كانوا يجوعون في الوقت ذاته.

هذا ليس تناقضاً عارضاً هذا هو ترتيب الأولويات الحقيقي حين تُزال الأقنعة. وهذه هو حقيقة أن يوسد الأمر إلى غير أهله قام به حسن التهامي وهو بكامل قواه العقلية والجسدية حسب ما يظهر لي!

أطالب بتحقيق كامل وشفاف في هذه الأموال: من أين جاءت، وإلى أين ذهبت، ومن استفاد. ليس انتقاماً بل لأن المؤمنين الذين تركوا وظائفهم وأسرهم وبلدانهم يستحقون أن يعرفوا أين ذهب ما قدّموه.

الملف أمام ديوان العدل الإلهي

أتوقف هنا.

أتوقف لأن ما سأقوله يحتاج إلى هدوء، لا إلى سخرية.

قدّمت عائلة الحودلي ملفها ملفاً حقيقياً، لا مجازياً. ملف المعاناة والسجن والطرد والفقر والسنوات التي أُكلت في سبيل هذه الدعوة. السعوديون طردوهم. الحياة ضيّقت عليهم. ودفعوا ثمناً لا يُنكَر. أخرجوا من ديارهم، قدّموا كل ذلك بوعي أو بغير وعي إلى ديوان لا يُغلق، وعدالة لا تنام.

الملف مقدّم. وهو ينتظر التوقيع

إن وقّع الله عاد المهدي من غيبته، وجاءت المعجزات، وتحقق النصر على يديه، وثبت أن هذه العائلة كانت على حق. وإن كان غير ذلك "ف بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ."

لست هنا لأضع كلاماً نيابة عن الله أو أوقع نيابة عن الله. ليس هذا شأني ولا طاقتي ولا حقي.

لكنني أتوجه إلى الأتباع، من كانوا ولا يزالون بما يمكنني أن أقوله بعد رحلتي، وبعد زيارتي للمراقد المقدسة، وبعد كل ما رأيت وسمعت وتأملت:

أمركم منسوخ. المهدي ليس منكم. ولا ينبغي أن تلوموا أحداً من الأتباع فقد أُوتوا من حيث يُؤتى الصادقون، من باب الإخلاص الذي يُستغل. لوموا من استغل هذا الإخلاص. لوموا الهندسة التي جعلت من إيمانكم وقوداً لمشروع أسري. لم يبقَ من يوقظكم بصيحته. الرهان خسر. والدورة تدور من جديد.

من أعطاك الإذن ان تقود باسم الله؟

"وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون!". يونس

أتأمل هذه الآية. وأسأل سؤالاً واحداً لا يقبل مراوغة:

مَن أعطى أي إنسان الصلاحية أن يقف أمام الناس ويقول: أنا المهدي؟ أو يصمت ويدع الناس يعتقدون ذلك وهو يعلم ما يعتقدون دون أن يرد؟

وقد ورد في المذهب الشيعي أن من نودي باسم أمير المؤمنين فرضي غير علي ابن أبي طالب فهو ....

المهدي مسألة إلهية خالصة. هويته قرار الله وحده. ليس للبشر في هذا القرار إذن ولا شورى. وحين يقف إنسان أياً كان ويتبنى هذا اللقب، أو يسمح لمن حوله بالتبني عنه، فقد وضع نفسه في موضع الشفعاء الذين ذمّتهم الآية. وحين يقوم أتباعه بالدفاع عن هذا الادعاء في وجه كل دليل، وعلى حساب كل شيء فقد صاروا هم العابدين الذين وصفتهم الآية.

السؤال ليس: هل سيأتي المهدي؟ سيأتي حتما بحول الله. بهذا نؤمن. لكن السؤال الذي لا يجرؤ المفتونون على سماعه هو: هل يستأذنك الله قبل أن يختاره؟

لمن يقول إن هذا الكتاب فتنة

أعرف أن بعضهم سيقول ذلك. وأنا لا أستغرب.

فأجيبهم بما لا يُردّ: "إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ."

الفتنة الحقيقية هي الصمت. الفساد الكبير هو أن تعلم ويسكت العلم في صدرك بينما مشروع أسري يأكل إيمان الناس وأعمارهم وأموالهم وعقولهم.

"لتبيننه للناس ولا تكتمونه.."

من يقول إن هذا الكتاب فتنة فليعلم أن الفتنة كانت موجودة قبل الكتاب بسنوات. الكتاب ليس سبب الفتنة.

الكتاب هو الجواب على الفتنة.

والفرق بين الأمرين ليس لغوياً. إنه أخلاقي.

المغامر الذي لا يخاف

سأتحدث عن نفسي. ليس استعراضاً. بل لأن الصدق يقتضي ذلك في هذا الموضع لبيان بعض الظروف والأحوال.

إدريس أحمد

أنا رجل وجدتُ دائماً لذةً غريبة في المغامرات الكبرى. لا لأنني مستهتر بما قد يأتي. بل لأن شيئاً فيّ يفهم منذ صغري وإلى اليوم أن اللحظات التي تُكلّف أكثر هي اللحظات التي تعني أكثر. وأن الحياة التي لا تُخاطر على شيء يستحق ليست حياةً تُذكر.

لم أكتب هذا الكتاب في عافية. راهنتُ على راحتي. وعلى علاقات لم تكن رخيصة. وعلى سلامة لم تكن مضمونة. فعلتُ ذلك بلا ندم لأن الرجل الذي بيده دليل وقرر أن يصمت ليس في أمان. هو في تأجيل. وفرق كبير بين الأمان والتأجيل. "ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه"

لستُ خائفاً الآن. ليس لأن الخطر صغير. بل لأن من يحمل الحق قد دفع ثمن الصمت في لحظات أخرى، وعرف أن هذا الثمن أغلى من ثمن الكلام.

والجبن ليس السكوت فحسب. الجبن هو أن تعرف ثم تُزيّن لنفسك أن السكوت حكمة. أن تُسمي الخوف تريّثاً. أن تنتظر الوقت المناسب حتى لا يأتي. هذا الكتاب قرار من لم يجد في التأجيل ما يُسكّن الضمير.

الفصل السابع

القانون القديم حين تصير الدعوة ملكاً

القسم الأول: كتاب المهدي من عترتي – قراءة في النص

حين تقرأ كتاب "المهدي من عترتي" لأول مرة، تشعر أنك أمام عمل عقدي. فيه استشهادات، وفيه تسلسل، وفيه شيء يشبه المنهج. لكن حين تقرأه مرة ثانية لا بعين الطالب بل بعين المحقق تبدأ الكتاب من جهة أخرى تماماً: من الفراغات لا من الكلمات.

ملاحظة: الكتاب مرفق في المصادر!

والفراغ الأكبر في هذا الكتاب لا يقع في هامش، ولا بين سطرين. يقع في صميم بنيته.

يُعدّد الكتاب الأئمة الأحد عشر واحداً واحداً. يُسمّيهم، يُعرّف بهم. حتى يصل إلى الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري فيمحو ذكره. فلماذا وافقهم في الأحد عشر إماما وخالفهم في الأخير؟ الجواب واضح لمن قرأ الكتاب ووصل إلى هذه الصفحة!

هل فعل ذلك مستغلا غياب الإمام الثاني عشر ليجلس في كرسيه! هل هي ولاية فقيه سنية جديدة، هل ينفي وجود الإمام الثاني عشر وكونه محمد بن الحسن العسكري؟ لكل سؤال من هذه الأسئلة جواب عميق!

ملاحظة: نحن نحاكم حسن التهامي على المذهب الشيعي لأنه هو من اختار الحكم الشيعي حين آمن بأسس الشيعة في هذا الكتاب، وعند الشيعة ليس بمسلم عندهم من كفر بإمام من الأئمة الإثني عشر! أو شكك في أحدهم فالكافر بأولنا كالكافر بآخرنا!

فهذه الحركة في كتاب المهدي من عترتي هي أكثر الحركات إتقاناً في المشروع بأسره. وهي في الوقت ذاته أكثرها خداعاً. لأنها لا تحتاج إلى كذبة. لا تحتاج إلى ادعاء مكتوب يمكن الرد عليه ودحضه. تحتاج فقط إلى صمت مُحكَم في المكان الصحيح، وأتباع جاهزون لملء ذلك الصمت بما يريدون أن يسمعوه. والزعيم الذكي لا يكذب يصمت. ويدع الآخرين يكذبون نيابةً عنه.

ثم تأتي الإضافة الثانية التي يمر عليها القارئ المتسرع دون توقف: زيد بن علي في قائمة الأئمة. الشيعة الإثنا عشرية لا يعترفون بزيد إماماً هذا ليس موضع خلاف في الدراسات. فلماذا يُدرجه الكتاب؟ الجواب بسيط حين تنظر إلى خريطة الجمهور المستهدف لا إلى المتن العقدي: اليمن، والجمهور الزيدي الذي يُجلّ زيداً ويراه إماماً. محمد عبده لم يكن يكتب رسالة عقدية حين أضاف زيداً كان يكتب خطة تسويق. المنطق ذاته الذي جعله يُكيّف الأحاديث لتناسب رؤية القاعدة في مرحلة، ثم يبني صورة السفياني على ملامح بشار الأسد في مرحلة أخرى، ثم يُعيد الترتيب كلما تبدّل الجمهور. لم يكن يبني عقيدة كان يبني سوقاً. والسوق لا تعرف الثوابت، تعرف الطلب.

القسم الثاني: القفز من الجبل حين يصف الجبان الشجاعةَ بقلة العقل

في رحلة دعوة وسياحة إلى مدينة دمت، تعلّمت السباحة. وفي لحظة من تلك اللحظات التي لا تُخطَّط، وقفت على منحدر جبلي مطلّ على برك الريّ، وقفزت. كان في الأمر شيء من التحدي، وكان في حضور عدد من الإخوة الذين أعجبهم ما رأوا.

محمد عبده كان شاهداً. ثم قام بنفسه ليحاول. وقف على الحافة. ونزل عليه ذلك الصمت الخاص به الصمت الذي كان يستدعيه حين أراد أن يبدو كأن شيئاً ينزل من فوق، كأن الهواء يحمل ما لا يُرى. انتظرت. شجّعته. لم ينفع. لم يقفز.

وبعدها بفترة طويلة ذكرها وقال: "أنتم ما عندكم خوف." على محمل قلة العقل وعدم تقدير العواقب!

قلت له: بل هذا دليل شجاعة. فتذكرت كيف كنت أنا أشجعه وكيف هو بعد ذلك كان يضمرها في نفسه ليحمل شجاعتنا على قلة العقل!

الحادثة صغيرة. لكنها كاشفة بشكل يصعب تجاهله. لأن أمام من لا يستطيع فعل شيء خيارين لا ثالث لهما: أن يعترف بالحدّ، أو أن يُعيد تعريف الشيء نفسه حتى يصير غير مرغوب فيه. محمد عبده اختار الثاني دائماً. لم يستطع القفز فصار القفز دليلاً على صغر العقل لا كبر الروح. من شكّك فيه لم يكن شجاعاً كان فاقد الإيمان. ومن نافسه لم يكن حقيقياً لم يكن عنده مشروع. والقفزة التي عجز عنها لم تكن شجاعة كانت تهوراً.

الرجل الذي يقوك بإعادة تعريف عجزه فضيلةً هو رجل يبني سلطته على إدارة الصورة لا على الطاقة الفعلية. وهذه البنية هشّة من أساسها، لأنها تحتاج دائماً إلى من يصدّق الصورة أكثر مما تحتاج إلى من يختبر الواقع.

وقبيل غيابه قال لأحد أشقائه: صنعاء لا تصلح إلا بي أو بك. اربط هذا بالقفزة، وستفهم المسافة الكاملة بين الادعاء والقدرة المُثبَتة. رجل لم يستطع القفز من منحدر في دمت كان يؤمن أن هو وأخاه يحملان على عاتقيهما مصير عاصمة وكان دوما يعيش دور الملك وأحيانا النبوة والزعامة، وهذه صنعاء اليوم دون أيٍّ منهما لم تقع في يد الكفار ولا في يد المنافقين الذين حذّر منهم. المدينة واصلت طريقها كما تواصل المدن دائماً، بعد أن يغادرها من ظنوا أنفسهم لا غنى عنهم.

القسم الثالث: تناقض الرؤى حين يرى كل واحد ما يريد

ما الذي نصنع بالرؤى؟

السؤال ليس بلاغياً. وجوابه ليس سهلاً. لأن في هذا المشروع كان للرؤى ثقل الحجة ومكانة الدليل. فلنقف عند ما رآه الناس، ونسأل بهدوء: ماذا رأوا بالضبط؟

أحد الإخوة المعروفين برؤية النبي صلوات الله عليه وعلى آله في المنام – وهذه منقبة يُكرّم بها عندهم وعندنا – رأى النبي يقول له: هذا آخر رمضان تصومونه عند أهليكم. وتم تفسيرها بأن البيعة وشيكة. جاء رمضان ومضى. ثم رمضان آخر. ثم عدة سنين فيها رمضان. ولا بيعة.

علي، أخو محمد عبده، تأتيه رؤى تؤكد أن أخاه عيّنه خليفةً على ما بقي من المشروع. وأمّه تسانده وتُبغض من خرج عن طاعته فهي صاحبة دعوة اللهم آت أولادي ملك سليمان!.

يحيى، أحد المقرّبين، رأى محمد عبده يقول له وهو يُشير بإصبعيه متجاورين: "أنا وأخي علي هكذا." وفسّرها: علي من محمد عبده كهارون من موسى.

وبعض أتباع أهل الفصل أخبرني أن لديهم رؤى عنّي توضح أن موقفي ضدهم باطل.

وأنا رأيت محمد عبده يسندني في مواجهة الفصل. وها أنا أكتب كتاباً يهدم المشروع من أساسه.

وأحدهم أخبرني أن محمد عبده سيظهر ويُعيّنني في مكانة كبيرة. وأخبرني محمد عبده نفسه أن رجلاً رأى النبي فسأله: متى يأتي الفرج؟ فأشار النبي إلى محمد عبده وقال: "قريباً على يد هذا."

وأتباع جهيمان أيضاً رأوا. ورؤاهم كما سمعنا تواترت بشكل عجيب. وصدّقوا. وتصرّفوا على أساس ما رأوا وكان الثمن دماً في أقدس بقعة على الأرض.

فما الذي تشترك فيه هذه الرؤى جميعاً؟

كل واحدة منها تخدم مصلحة من رآها. رؤى علي تُثبّت سلطة علي. رؤى يحيى تُقرّب يحيى من علي. رؤى الفصل تُحذّر من إدريس. رؤية إدريس تُسند إدريس. كيف نقارن هذا بالأحاديث التي ذكر أن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة! أتوقف هنا لأقول: لا أدري!

هذا لا يعني أن كل رؤيا كاذبة. أنا أعرف رؤى صادقة وأعرف أناسا رؤاهم صادقة لكن حين يتعلق الأمر بالمهدي فتتغير إعدادات الرؤى فلا تكاد تفهم يدك من رجلك ولا رأسك من قدمك فكل له مشروعه وكل له أحلامه وكل له أوهامه وكل يغني على حب ليلى وليلى لا تقر له بحب ولا مودة!

لا مهدي بدون شعيب بن صالح

قال لي حسن التهامي مرة في لحظة لم أكن أتوقعها: لا مهدي بدون شعيب بن صالح.

وقفت عند هذه الجملة طويلاً. لا تزال تقف معي.

هل كان يصف خطة إلهية رآها في الغيب؟ هل كان يؤمن بما يقول وهو في الوقت ذاته لا يملك ما يُثبته؟ هل كان يخاف أن لا يجد شخصا مثل شعيب تنطبق عليه أوصاف شعيب بن صالح فلذلك ظل متمسكاً به!

لا أعرف ما أقول!

وأنا الذي قيل فيه "لا مهدي بدونه" ها أنا أكتب ما أكتب. فلتُقرأ هذه الجملة في ضوء ما بين يديك.

القسم الرابع: بيت الحودلي – ابن خلدون شاهداً

وكان تارة يتقرب من السيد عبد الملك الحوثي ويقول إنه سيكون معه كيوسف مع العزيز في حين كان أتباعه يؤمنون أن دولته فوق دولة عبد الملك وأن المهدي لا يكون تابعاً لأحد.

سمعتها منه مباشرةً، في اتصال صوتي يحثني فيه على الاقتراب منه حين ابتعدت عنه: "من يقتربون مني تتحسن أمورهم." قالها بالطريقة التي تُقال بها الحقائق التي صاحبها واثق منها تماماً. ثم كرّرها.

الأداة التي تضع هذه الجملة في سياقها الحقيقي كانت موجودة منذ ستة قرون. فتحتها لاحقاً.

ابن خلدون في المقدمة، حين يصف الطور الثاني من أطوار الدولة، يصف بدقة مزعجة ذلك الانتقال: الزعيم يتحول من المشاركة مع رفاقه الأوائل إلى الاستئثار. يبدأ بـ"جدع أنوف" أولئك الذين حملوا معه الراية في البداية حين لم يكن هناك أي بشارات!. ثم يستبدلهم بمحسوبين يدينون بمواقعهم له شخصياً لا للقضية. يستبدل شعيباً بمديري ثروات، والفارق بين الطورين ليس في الشعار يبقى الشعار كما هو، تبقى الدعوى، يبقى الاسم. لكن مصدر الشرعية ينتقل: من القضية إلى الشخص. من "أنا واحد منكم نخدم هذا الأمر" إلى "أنتم تستمدون قيمتكم من قربكم مني."

ومن يقتربون مني تتحسن أمورهم

لم يكن محمد عبده يعلم أنه حين قال تلك الجملة كان يُعلن بصوته هو، بثقته هو دخوله الطور الثاني الذي وثّقه ابن خلدون. ظنّ أنه يُعلن نسبه الروحي وخصوصيته الإلهية. كان في الحقيقة يُعلن تحولاً بنيوياً: البركة لم تعد تنبع من الله عبر الدعوة صارت تنبع منه هو، وتتسرب إلى من يدور في فلكه. القضية تحوّلت إلى شخص.

والشخص صار القضية.

لم يكن ابن خلدون يصف التهامي. كان يصف السنة الكونية التي وقع فيها التهامي دون أن يعلم. والفرق بين الاثنين هو الفرق بين الشخص والظاهرة.

سيادة بدون مساءلة

أراد السيادة دون المساءلة. أراد تفويضاً إلهياً. لكن أكبر قادة الدول في التاريخ الذين تدرّبوا في أرقى المؤسسات السياسية وأمسكوا بمفاتيح أعتى القرارات يقفون أمام المحاسبة، وتُدرَس قراراتهم وتُلاحَق أخطاؤهم. هو أراد أكثر مما أراده أيٌ منهم. وقدّم من الدليل أقل مما قدّمه أيٌ منهم. مهدي بلا علامة واضحة ليس مهدياً هو رجل يريد العرش دون أن يتحمّل ثقل العرش.

حفر قبره بيده!

وحين أسلم المشروع للثعالب لأهل الفصل، وأصحاب الوساطات والعلاقات لا العقائد حفر قبره بيده. لو صرف المال على رجال صدقوا معه، على رجال نفوذ حقيقيين. لو أصلح سلوك من حوله. لو تصالح مع أنصار الله وأقنعهم أن مشروعه لا يهدد مشروعهم. ربما كانت النهاية مختلفة. لكنه وثق بمن سيأكلون ما بنى. وأكلوا.

روبرت ليفتون، حين درس الحركات الشمولية عبر الثقافات والقرون، رصد ثلاثة معايير تتكرر في كل منها دون استثناء تقريباً. الأول: استبدال اللغة، صرت شعيباً بدلا من إدريس! والاسم الجديد ليس مجرد لقب بل إعادة هيكلة للهوية حول الزعيم لا حول ما كان عليه الإنسان. الثاني: احتكار الحقيقة الزعيم يصير القناة الوحيدة بين التابع والله، والتشكيك فيه تشكيك في الله، وهذا ليس عرضياً بل هو العمارة الأساسية للمشروع. الثالث: التجريد التدريجي لا دفعةً واحدة بل قطرةً قطرة، تأويلاً تأويلاً، حتى يجد التابع نفسه يوماً ما بلا الأدوات التي يحتاجها للتساؤل، لأن تلك الأدوات نفسها طريقة التفكير، معايير الصواب والخطأ، تعريف الإيمان والكفر قد أُعيد تعريفها. وجد ليفتون هذه المعايير في معسكرات إصلاح الفكر الصيني وفي الطوائف الأمريكية وفي الحركات الشمولية على اختلاف مشاربها. الجغرافيا تتبدل. الآلية لا تتبدل.

وهنا يكتمل ما أردت قوله في هذا الفصل

لا أقول إن محمد عبده شيطان فريد. لا أقول إن أتباعه كانوا ساذجين. لا أقول إنني لو كنت مكانهم لما وقعت. لا أعرف. ما أعرفه وما يجب أن يعرفه كل من قرأ هذه الصفحات هو أن ما جرى لم يكن حادثة. كان نمطاً. نمطٌ له قانون. والقانون لا يفرّق بين جيل وجيل.

كل جيل يعرف الجواب عن الأجيال السابقة. يعرف كيف وقعوا وأين أخطأوا ولماذا آمنوا بما لا يُؤمَن بـه.

السؤال الأصعب هو: ما الذي يجعلنا نظن أن جيلنا هو الاستثناء في التاريخ؟ وأن المهدي في زماننا دون غيرنا وأننا صفوة الله في كونه الفسيح؟

الخاتمة

دفعت الثمن ولست نادماً، فقد سلكت الطريق باختياري وكانت له فرص نجاح كما كانت له عوامل فشل وقد فشل. تلك الخمسة عشر عاماً لم تذهب هباءً كانت تجربة ثرية شكّلت جزءاً لا يُستهان به في شخصيتي كرجل. والبداء الذي وجدته في العراق كان الهدية التي أنقذتني فتحررت من المشروع بالدين كما دخلت فيه بالدين.

وأنا هنا لأؤكد أن إيماني بالمهدي خرج أقوى لا أضعف. إنما غيّرت احتمال كون محمد عبده هو المهدي، وغيّرت قناعة أن الاستمرار في طريقه هو طريق الوصول إلى المهدي عليه السلام. وقد يتساءل الكثير: لماذا الاهتمام بالمهدي أصلاً؟ للمهتم بالدين أقول: المهدي أفضل قيادة إسلامية منتظرة وخير من كل النماذج الموجودة في الساحة. ولمن ليس له اهتمام بالدين أقول: المهدي أكبر مصلح سياسي واقتصادي تنتظره الأرض والحلم به حق مشروع لكل من يريد عالماً أكثر عدلاً خصوصاً في زمن الظلم الذي نعيشه!

رسالة للذين بقوا

أنا منكم ولست عدواً يكتب من الخارج ما لا يعلم. أنا متأكد أنكم تسمعون صدى كلماتي بين جوانحكم، وأن هذه الأسئلة قد دارت في خواطركم لو كنتم صادقين مع أنفسكم.

أعرف أنكم كلما واجهتم سؤالاً في مسيرتكم مع حركة أنصار المهدي دفنتموه بالتأويل ثم تقولون ولعله ولعله..، وأحياناً تشاغلتم عن تلكم التساؤلات، وكنتم حريصين أن تُثبتوا لأمرائكم أنكم ثابتون، فتحطّمون كل سؤال يسوقه العقل بحجة الثبات وعدم الفتنة. فإلى متى وأنتم في الفتنة قد سقطتم؟ فلا مهديكم ظهر، ولا أمراء الفصل أطاعوا من قال التهامي فيه "من كنت مولاه فهذا عبد الله مولاه"، ولا عبد الله أطاع الفصل وهو الذي لديه مقطع صوتي يقول فيه "أبتي أمرني بطاعة أصحاب الفصل"، فلماذا عصاهم الآن؟ ولا عبد الله مولاكم سلك بكم طرق الهدى. ولا أنتم أصلحتم حياتكم ولا اهتممتم بشؤون دينكم ولا شؤون دنياكم، لأنكم اقتنعتم أن الدين كله في مطاردة مهدي الوهم لا مهدي الحق.

لا أطلب منكم موقفاً. أطلب شيئاً واحداً فقط: ألا تحاربوا السؤال الذي يُلحّ على قلوبكم.

وأريدكم أن تعرفوا أن الخروج ليس خيانة. الخيانة الحقيقية هي الصمت عن الحقيقة التي تلمسونها ثم تدفنونها في مهدها وتتحاشونها. الخيانة هي ترك أساسيات الدين الثابتة عن رسول الله بحجة اتباع مهدي لم تثبت مهديته بعد، ألا فاعلموا أنه لا مهدي إلا على نهج رسول الله صلى الله عليه وآله. فراجعوا سيرة رسول الله وراجعوا سيرة التهامي واحكموا أنتم. راجعوا كيف كان رسول الله يردّ فاطمة حين طلبت خادماً ويأمرها بالتسبيح، ثم قارنوا بالمهدي الذي يُشبّك كبار الداعمين بولده المفسد في الأرض ويعينه أمين صندوق الحركة

وهناك شهادات موثقة وهو يتهم ابنه بالفساد وعدم الدين والكذب. قارنوا بين تواضع رسول الله وبين ركض التهامي خلف أصحاب الجاه والمال.

الخيانة هي التظاهر باليقين وعالمك الداخلي مليء بالشك. الخيانة هي الانتفاع المادي من مشروع وأنت تدري أنك على باطل. الخيانة أن تُكلّف نفسك ما لم يُكلّفك الله به وتسميه ديناً وطريق هدى. الخيانة أن تجعل مع الله إلهاً آخر وتسمّيه المهدي وتتبعه على أساس أنه وكيل من الله وهو ليس على شيء.

أقول لكم: ما جمعنا كان حقيقياً، الأخوة كانت حقيقية، والتضحيات كانت حقيقية، والجوع الروحي الذي قادنا كان حقيقياً. لا أتبرأ من شيء من هذا. لكن الطريق كان خاطئاً، والطريق الخاطئ لا يُكرّم بالاستمرار فيه يُكرّم بالخروج منه. والباب مفتوح فلا تغلقوه على أنفسكم!

لمن يظنون أنهم صفوة الله في أرضه، لمن صدّقوا قول التهامي حين قال "الرهان الآن عليكم أنتم" أي أن العالم كله يراهن على هذه المجموعة، لمن يظنون أن الزمن سيتوقف من أجلهم، أنا هنا لأكون صادقاً معكم.

محمد عبده ليس استثناءً. أمثاله قد مضوا وسيتكررون إن كان في الزمن بقية حتى يخرج مهدي الحق. راجعوا التاريخ فهو مليء بهذه الأحداث والقصص. وكما قال الله عز وجل: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ فأفهم الناس بالحياة أشدهم عمقاً في فهم السنن.

الأدوار تتغير والمنطق واحد والطريقة واحدة فانتبهوا.

أقول لجميع الشباب المسلم في أي جماعات كانوا: أفهم أنكم جائعون روحياً. أفهم أن المرجعيات التي وثقتم بها قد خذلتكم. ولكن لتكونوا متصالحين مع أنفسكم سأورد لكم أدوات تقيسون بها كل جماعة موجودة في الساحة لتعرفوا مدى مصداقيتها:

أدوات اختبار مصداقية الجماعات

أولاً: هل تتحمل الجماعة المساءلة؟ القائد الذي لا يُسأَل ولا يُحاسَب ليس قائداً دينياً هو صنم. فالله هو الوحيد الذي "لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون!"

ثانياً: هل باب الجماعة يُفتح للجميع أم يُفتح للمال والجاه؟ راجعوا من يجلس في الصف الأول.

ثالثاً: هل الشك فيها يُعالَج بالحجة أم بالإبعاد وقطع المصالح وربما التهديد أحياناً؟ الحق لا يحتاج قضبان.

رابعاً: هل قيادتكم تعيش كما تأمر أتباعها أن يعيشوا؟ الفجوة بين المنبر والبيت هي الدليل.

هل أبناء قادة هذه الجماعات يعيشون كأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

أين يدرس أبناء هؤلاء القادة؟

هل يُهيئون ليرجعوا قادة عليكم خلفا لآبائهم؟

هل نظام قيادة هذه الجماعات توريثي أم على أي أساس؟

هل يتمتع أبناء القائد بصفات تؤهلهم لقيادة الحركة من بعدهم أم أن ملك الجماعة أصبح أسريا ولم يعد قائما على مبادئ كما كان؟

ولحركة أنصار المهدي خصوصا أقول: هل تعلمون ما يدور خلف الكواليس أن في اسرة السيد محمد عبده من يقول لو غاب محمد فبعده عبد الله فإن غاب فبعده القاسم! هل أصبحت المهدية أسرية أم قائمة على دين؟ ألا تتذكرون

كيف كان يتكلم عنهم السيد محمد عبده في الدورات أنهم من عشاق البوبجي؟ هل انتهى بكم المطاف أن تكونوا تحت قيادة لاعب بوبجي يا من كنتم تبحثون عن المهدي يوما لتنقذوا الأمة من الظلمات إلى النور؟

الفرق بين المؤمن الضحية والمؤمن الناجي ليس ذكاءه وإنما امتلاكه لأدوات اختبار مصداقية الجماعات. كل من وقع فقد وقع بسبب حبه للدين وبسبب عدم امتلاكه للأدوات لا بسبب غباء ولا بسبب ضعف إيمان.

كتابي هذا ليس وثيقة خروج فقط بل هو سلاح في يد كل شاب مؤمن يريد أن يعرف أين يضع قدمه في عصر الظلمات.

من عرف هذا الكتاب سيصعب اصطياده.

أين أنا الآن

خرجت من أجل دين وليس خروجاً فوضوياً. لا زلت أبحث عن المهدي الحق، وزياراتي للمشاهد المقدسة في العراق وإيران هي أشد ارتباطاً بالمهدي من غيرها وتغيّر قناعاتي بعد تلك الزيارات يعكس بُعداً واضحاً لكل ذي بصيرة. أخبروني مجازاً من خلال زيارتهم أن محمد عبده لا يشبههم ولا يشبهونه.

كتابي هذا دليل على أني مستمر في الطريق ولم أتوقف. وقد بنيت خلال تواجدي في هذا المشروع أسرة مباركة كانت سبباً في وضوح نظرتي فهذه الحركات وقودها الشباب الكادح الذي لا يُراد له أن يعيش كما أراد الله، لا يُراد له أن يتزوج ويسكن ويؤسس أسرة، فقط يكون رصاصة جاهزة للإطلاق في أي وجه من أجل بقاء الزمرة القيادية.

عندي يقين عالٍ أن هذا الكتاب زيادة هداية لي أنا شخصياً قبل أن يكون لكم. والطريق لا زال مفتوحاً. والزمان سيحكم على الجميع حين تنكشف الحقائق واحدة تلو الأخرى، نحن نرى ماضينا بكل وضوح لأننا ندرسه مطمئنين، بلا تهديدات، بلا استثمارات تُخسر، بلا وجاهات تسقط. أما الذين عاشوا ذلك الماضي فكانوا يرون

واقعهم من داخل ضباب الحضور الصعب. هذا ليس عذراً هو تفسير. والفرق بين العذر والتفسير هو الفرق بين التبرئة والفهم.

هدفي من هذا الكتاب أن يعرف القارئ واقع حركة أنصار المهدي ويستخدم هذا الفهم كأداة في دراسة الجماعات الموجودة في الساحة. من فهم هذا الكتاب بشكل واضح لن يبذل جهداً كبيراً في فهم كل فصيل موجود لأن المنطق واحد والآلية واحدة والنهاية واحدة.

وإذا واجهتكم صعوبات في الإجابة على الأسئلة التي تطرحونها للتحقق من مصداقية جماعاتكم فمن حقكم أن تشكّوا، فلن يُخفى عليكم إلا أسرار تُساقون بها إلى الموت وأنتم تنظرون ولا تشعرون.

هذا الكتاب أداة معرفة قبل أن يكون أي شيء.

السؤال الكبير لا يزال مفتوحاً: أين الحق؟ وهل مقاييس الحق تنطبق على الحق الذي ترونه؟

لا تستعجلوا في الإجابة فالصمت خير من الإجابة المتهورة أو الخاطئة. وأنا إنما تركت رجلاً ولم أترك المهدي، فلا زلت أبحث عنه، ولعل كتابي هذا هدية في طريق البحث وقربان للمهدي الحق عجل الله ظهوره وجمعنا به عن قريب.

﴿وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد﴾

❊❊إدريس أحمد❊❊

صنعاء، مايو، 2026



الصورة التقطت في صنعاء عام عشرين ستة وعشرين، وفي بداية الكتاب تجدون صورتي في النرويج عام ألفين وعشرة، الرجل في الصورتين هو أنا، وبين الصورتين ستة عشر عاماً هي فصول هذا الكتاب.

تم بحمد الله

المصادر

بي بي سي عربي. (2017، يوليو 11). الفيلم الوثائقي: حصار مكة [فيديو]. يوتيوب.

https://www.youtube.com/watch?v=hXDQSsLx8q

التهامي، ح. (٢٠١٩). «المهدي من عترتي». أرشيف الإنترنت.

https://archive.org/details/yousoufey10_gmail_20190125

قناة الشيخ حسن التهامي [ShykhHasanTihami]. (لا تاريخ). «أدبيات حركة أنصار المهدي»

[قناة تيليغرام]. تيليغرام.

https://t.me/s/ShykhHasanTihami

قناة واقترب الوعد الحق. (لا تاريخ). «القناة الرسمية لمشورة الفصل» [قناة يوتيوب]. يوتيوب.

https://youtube.com/@almhdy

الغروي الأرودبادي، م. ع. (1956). *أبو جعفر محمد بن الإمام علي الهادي (سبع الدجيل)*. شبكة الفكر.

https://alfeker.net/library.php?id=5927